شريف أسعد

حواديت السعادة

رواية



إهداء

إلى تلك المرأة التي مهّدت الطريق بالنجاح طوال الوقت، إلى الأم وقتَ أنْ أحتاج أُمًا، إلى الصديقة وقتَ أنْ أحتاج صديقة، إلى الابنة وقتَ أنْ أحتاج ابنة،

إلى المرأة المصرية

إلى زوجتي

١

«أنا حِلو»،

لا مش شكلاً،

أناااا حِلو يا جماعة !!،

يا جدعان لا، مش أخلاقًا برضُه، ربنا يكرمكوا

أنا، أنااااا حلو

أنا اسمي حِلو، نعم؟؟؟ إنت اسمك أحلى؟!! ربنا يبارك لك فيه يا حبيبي، يا رب ارحمني

اسمي في شهادة ميلادي «حلو»، أيوة، أبويا وأمي سمّوني حلو، يااااه ، أخيرًا فهمتوا؟!! صح ، اسمي حِلو، أنا حلو

اسمي بالكامل؟؟! ضروري يعني؟!!

ما كفاية حِلو وخلاص يا جماعة!!، لازم؟؟؟

أمري لله،

اسمي الثلاثي،

حِلو جميل خالص

إمم، واضح إنه مفيش فايدة،

تعالوا احكيلكم الحكاية

*****

في ذلك الفراش الوثير وفي صباح يومٍ شتويٍّ شديد البرودة، تقلَّب «حلو» وقد ارتفع صوت غطيطه ليرُجّ جُدران الغرفة التي تسلل ضوء الصباح الخافت إليها من وراء ستار النافذة التي توسطتها، بينما حملت باقي جدران الغرفة تلك الصور التي احتلَّتْ الكثير مِن المواضع العشوائية فوقها، وظهر «حلو» فيها جميعًا مبتسمًا مع نفس الفتاة التي تظهر إلى جانبه في كلِّ صورةٍ مِن تلك الصور.

كان «حلو» شابًا في نهايات العقد الثالث من العمر، متوسط الطول، يتَّسم جسده بالاعتدال والرشاقة، بينما كانتْ ملامح وجهه تدعو إلى الابتسام، لم يكن هناك سببٌ معيَّنٌ، ولكنَّ قسماته كانت دائمًا تُصيب مَن يُراقبُها بنوبةٍ مِن الضحك، وخاصةً مع بداية أيِّ تعارُفٍ أو صداقةٍ قد تَحدُث في تلك اللحظة التي يقدِّم فيها نفسه إلى مَن يُواجهه قائلاً بكلِّ سعادةٍ وثقة:

«أنا حلو»

ربَّما كانت تلك القسمات مع طريقة الحديث الواثقة بالإضافة إلى اسمه الذي صرع الكثيرين ضحكًا بلا وعيٍّ سببًا مباشرًا للعلاقة التي نشأت بينه وبين تلك الفتاة الجميلة في أيام الجامعة، حيث درسا سويًا في كليّة الآداب، قسم الوثائق والمكتبات.

تلك الفتاة التي توطَّدتْ علاقته بها يومًا بعد يوم، ممَّا زادهما قربًا في كلِّ لحظةٍ يقضيانها سويًا.

تحرَّكتْ مشاعرهما بشكلٍ مُتبادلٍ دون تدخُّلاتٍ مِن أيِّ شخصٍ.

كان «حلو» يعتمد تمامًا على ما يمتلك مِن كاريزما مُبهجةٍ وطريقةٍ ساحرةٍ في كلِّ تعاملاته، كان شخصًا تلقائيًا للغاية.

لم يكن يبذل أدنى مجهودٍ يُذكَر لنشر الابتسامة على وجوه الجميع مِن حوله، وكان لظهوره في أيِّ مكانٍ أثرٌ قويٌّ يظهر جليًا في ارتفاع صدى قهقهة الضحكات مِن حوله، وخاصَّةً، صوتها هي...

«سعادة»

نعم، اسمها «سعادة»

كان اسمها بمفرده مَدخلاً للسرور وإرسال البهجة في أعماق قلبه، هكذا كان يراها دومًا.

حبيبة عمره، وطريق حياته، التي أصبحت بعد مرور سنواتٍ عدَّةٍ وسط كفاح الحياة وتخطِّي العديد والعديد مِن الصعوبات والمعوقات، زوجته.

تلك الجميلة التي لم تكن الابتسامة تغادر وجهها حتى في أثناء نومها في بدايات زواجهما، كانت «سعادة» رائعة القوام، مُشرقة الوجه، يزداد شكلها جمالاً وتأنقًا وإثارةً مع تلك العُوينات الرفيعة التي ترتديها، والتي تختفي نهايات أطرافها بداخل ذلك الشعر الأسود الطويل المنسدل وكأنَّه يحرس ابتسامتها، ويقود تلك الابتسامة إلى الشخص الوحيد الذي يستحقُّها، «حلو».

كانت تلك الصورة الدائمة التي يراها بها، منذ عرفها، أروع لحظاته حين كانت

تقف بدلالٍ في طُرقات الجامعة تنتظره آتيًا مِن بعيدٍ، بجسدٍ رشيقٍ ممشوقٍ مثيرٍ يسرق أنظار المُحيطين، وهي تُلوِّح له بذراعٍ مرتفعٍ ، مناديةً بقوةٍ حتى يراها:

«حلو»

«ياال حلووووو»

«يا حلوووووووووووووووووووو»

«اصحى بقى طلعت عين أمي يا أخي»

استيقظ «حلو» مفزوعًا على زُغدٍ في كتفه سبَّب له ألمًا قارصًا لثوانٍ معدودةٍ، جعله يُحدِّق في ما حوله بذهولٍ، وكأنَّه يُطالع تفاصيل الغرفة لأول مرةٍ في حياته، نظر إلى ذلك المُنبِّه الذي يُجاوره للحظةٍ والذي أشار إلى السادسة صباحًا، مع صوت المذياع القادم مِن المطبخ الذي اختفتْ تفاصيل ما يُردِّد نتيجةً لوقوعه المُتكرِّر فبدا ما يصدُر مِنه وكأنَّها همهمةُ حوتٍ أزرقَ جائعٍ في قلب المحيط، ثم ما لبث «حلو» أنْ عاود النظر إلى مصدر الزُغد مرةً أخرى

«سعادة»

التي وقفتْ تنظر إليه بغضبٍ وقد قمطت رأسها بقطعةٍ مِن القماش على نفس طريقة الهنود الحُمر لحظة خروجهم لمواجهة الغُزاة الأمريكيين في بدايات الزحف على أراضيهم، لم يكن ينقُصُها إلا قليلٌ مِن ريشات الديوك الرومي فوق الرأس وخطّيْن متوازيين مِن برطمان الصلصة لكي تخطّهما أسفل العينين ليتمَّ تنصيبها زعيمةً للأباتشي وتبدأ على الفور في مُمارسة مهامِّ عملها بقيادة معركة تحرير الشاطئ الشرقيّ للقارَّة بجدارةٍ، هكذا رآها «حلو».

ولكنه ما لبث أنْ نفض الفكرة عن رأسه خاصَّةً مع خطوات ابتعادها عائدةً إلى المطبخ مرةً أخرى مُحدِثةً فحيحًا مُرعبًا نتج عن احتكاك خُفَّيها بالأرض، راقب «حلو» ذلك الخصر الذي عرفه في الماضي، والذي تغيَّر مع مرور الزمن وامتلأ بالدهون على مرِّ السنوات الخمس التي قضياها سويًّا منذ زواجهما.

ثم بدأ في شعائر طقوسه الصباحية قبل النهوض مِن فراشه الدافئ، بضع دقائقَ مِن الهرش في الرأس، يليها دقيقةٌ أو يزيد مِن مُحاوَلة الهرش في الظهر، ثم بعض الهرش في الكتف، وأخيرًا، هرشٌ متواصلٌ مكثّفٌ في البطن والأجناب والأرداف أثناء قيامه مِن الفراش وحتى وصوله إلى الحمام.

شرع في حِلاقة ذقنه سريعًا وتَبِعها بِغَسْل وجهه ورأسه، وخرج وهو يُجاهد في تجفيف رأسه بمنشفةٍ ممتلئةٍ بالمياه، وصاح وهو ما زال يضع رأسه داخل المنشفة البيضاء:

- يعني إنتي مش قادرة تحطّي فوطة ناشفة بعد ما تتشطفي الصبح؟؟ لازم أصحى ألاقي الفوطة عايمة نوغّة في المية؟!!

صاحت «سعادة» مِن داخل المطبخ وهي مُنهمِكةٌ في مُطاردة صرصارٍ صغيرٍ، دفعه حظُّه العاثر ليخرج في وقتٍ خاطئٍ ليُفاجأ بها:

- كان في فوطة تانية ورا باب الحمام، وفوطة تالتة على باب الأوضة وأنت خارج تتغندر رايح الحمام، وفوطة رابعة على حرف السرير مكان ما سبتها امبارح بالليل زي كل يوم يا قنصل مدينة الوز.

انصت «حلو» بوجوم، ورأسه مازال مُختفيًا داخل المنشفة وهو يفكِّر سريعًا في ردٍّ مناسبٍ، ولم يجدْ ما يُجيبها به، فقال باقتضابٍ مُبتلعًا جُملاً مِن الاعتراض كانت في طريقها مِن المُخِّ إلى اللسان ولكنه وجدها ضعيفة الحُجَّة:

- نهايته، يا ريت الفطار بس عشان عاوز أنزل.

جاء الردُّ بسرعةٍ مِن المطبخ مع صوت طرقعتين متتابعتين بسرعةٍ رهيبةٍ تدلُّ على نهاية حياة مخلوقٍ ما سحقًا:

- عندك على الطربيزة، بيض مفقوش وساندوتش جبنة براميلي بالجرجير والشاي باللبن.

نظر لها «حلو» بعد أنْ أخرج رأسه من قلب المنشفة وشعره هائجٌ كالمجنون وهي تخرج مِن باب المطبخ وعلى وجهها علامات ارتياح المنتصر، ثم انعقد حاجباه وقال بصوتٍ غاضبٍ:

- تصدقي بالله؟ انتي مفيش فايدة فيكي يا سعادة، شوفي بقالنا كام سنة متجوزين، من امتى انا بأكل البيض مفقوش؟؟؟ مين قالك تتبرعي وتفقشي البيض؟؟؟ انتي عارفة إني بحبه يا مسلوق، يا اومليت، أنا قلت ألف مرة، ما بحبش البيييض زففففت مفقوووش، يخرب بيت الفقش على سنين الفقش السودة، وبعدين كل يوم اقولك، الشاي بالنيلة اللبن، معاده بعد أم الفطار عشان بخش بيه الحمام، ما بعرفش أشربه على الفطار، لازم بعد الفطار، لازم بعد الفطاااااار، عشان يكون لسة سخن وأعرف ادخل الحمام أفضّي.

أجابت «سعادة» مُعقّبةً بسرعةٍ:

- خلاااااص يا حلو، آسفة، نسيت، بقالك شهرين وزيادة بتاكل البيض مسلوق كل يوم، قلت أغيَّرلك عشان ما تزهقش، فا فقشته.

ردَّ «حلو» مُلوحًا بالمنشفة بكلتا يديه بعصبيةٍ:

- ما بحبوش مفقوش يا سعادة، ما بحبوش مفقوووش ما انتي عارفة!!

- خلااااص يا حلو، معلش، الشاي باللبن حـ...

قاطعها «حلو» بسرعةٍ:

- النيلة اللبن لو سمحتي.

زفرت «سعادة» بيأسٍ ونفاد صبرٍ، ثم قالت مُستطردةً:

- الشاااي بالنيلة اللبن حسخنهولك لو برد عشان تخش بيه الحمام، حاجة تاني؟؟ لازم كل يوم كدة على الصبح؟!!

أجاب «حلو»:

- ما هو أنا اللي بأعيد فيه، بأزيد فيه بالشهور، وانتي مفيش فايدة يا سعادة، أنا زهقت.

- لا يا حلو، أنت اللي بقيت عصبي وما بقتش عارفة اتكلم معاك كلمتين على

بعض، خصوصًا، خصوصًا...

صمتت «سعادة» وقد أطرقت برأسها، وخفت صوتها تدريجيًا، مِمَّا زاد حدَّة التوتُّر لدى «حلو»، الذي قال مُحتدًا:

- خصوصًا ايه يا سعادة؟؟؟ ها؟؟؟ اتكلمي؟؟ قولي بقى أي كلام، إعملي من الحبة قُبة، وأشيل أنا الطين مش مهم، ها يا «سعادة» يا حبيبتي؟؟؟ خصوصًا ايه؟؟

ظهرت علامات التأثُّر الحقيقي على وجه «سعادة»، وبدأ بريق دموعها في اللمعان في طرفي مُقلتيها، وهي تجيب بخُفوتٍ:

- خصوصًا مِن ساعة موضوع الحمل.

ظهرتْ علامات التوتُّر على وجه «حلو» الذي ردَّ بسرعةٍ في مُحاوَلَةٍ مِنه لأخفاء هذا التوتر، وإنهاء الموقف بشكلٍ مُضحكٍ:

- سعادة، أنا قلتلك مية مرة، أنا مش حامل.

صدرت ضحكةٌ قصيرةٌ مِن فم «سعادة» على الرغم منها بينما دموعها قد بدأت تسيل على وجنتيها بصمتٍ، فأكمل «حلو» بسرعةٍ محاولاً الخروج من

الموقف:

- أو تصدَّقي؟ يمكن أكون حامل فعلاً والعصبية دي نتيجة هرمونات زايدة عندي في الشهور الأولى باين!!

خرجت ضحكةٌ أخرى من «سعادة» ولكن هذه المرة أقوى من سابقتها، ونظرت إليه والدموع تنسال من عينيها بينما الحزن ظاهرٌ تمامًا على ملامح وجهها، ولكن «حلو» لم يمهلها الكثير من الوقت، فأكمل قائلاً:

- هو تفتكري حُبي للبيض المسلوق اكتر من المفقوش ده وحم؟؟ والا ده عادي؟؟

ضحكت «سعادة» ضحكةً عاليةً طويلةً هذه المرة، مِمَّا رسم على شفتي «حلو» ابتسامةً حاول إخفائها ببراعةٍ لتبدو على ملامحه علامات الجِدِّية التي جعلت «سعادة» تزداد ضحكًا لدقيقةٍ أخرى، صمت خلالها «حلو» تمامًا إلى أنْ قال لها في النهاية بهدوءٍ ممتزجٍ بالحنان:

- إيه بقى على الصبح؟؟ في ايه بقى؟؟

نظرت له «سعادة» بابتسامةٍ حزينةٍ، ثم قالت بخفوتٍ:

- عارفة أنك كان نفسك في الخلفة، وعارفة إنّ ده سبب كل مشاكلنا دلوقتي، بس، بس أنا آسفة والله يا حلو، ما كنتش أعرف إني ما بخلفش.

وبدأت الدموع تتراكم في عينيها مرةً أخرى وكأنّها ستخلق سيلاً ، فقاطعها «حلو» قائلاً:

- أولاً، مين قال إنك ما بتخلفيش؟؟ الزوفلوميط دكتور اللي رحنالهم وهبروا دم قلبنا، قالوا إنّ معدل الخصوبة والتبويض عندك ضعيف، ما قالوش غير كدة ، وقالوا إنّ الحمل ممكن يحصل في أي وقت، ولو مستعجلين قوي يعني ممكن نعمل عملية حقن مجهري طبيعي ونسبة نجاحها مرتفعة جدًا، ايه بقى الفيلم الهندي الهابط اللي انتي عاملاه ده؟؟

- أنت ناسي أننا حالتنا المادية ما تسمحش بالعملية دي خالص يا حلو؟؟؟ الموضوع مش سهل زي ما أنت بتحاول تبسطه، أنت عارف، وأنا عارفة، وكمية المنشطات اللي أنا باخدها عشان زيادة الخُصوبة هي اللي مبهدلة جسمي ومخلياني عمالة أزيد في الوزن وأنا تقريبا ما بأكلش.

قاطعها «حلو» بحركةٍ مسرحيةٍ وهو يقفز من فوق كرسيه مُلوحًا بالمنشفة مرةً أخرى:

- والنبي انتي ما عارفة أي حاجة في أي حاجة، أنا أصلا بحب الكلابيظ يا بطة، أنا حاخد الشاي بالنيلة اللبن وأخش الحمام خليني الحق أنزل أروح الشغل.

ابتسمت «سعادة» ابتسامةً هادئةً وكأنها تعلم تمامًا أنه يحاول الهروب من الحديث كما يفعل في كلِّ مرةٍ، وقالت له وكأنها تُسايره:

- طب والبيض المفقوش؟؟

- الوحم يا سعادة، مش قادر اشم ريحته خالص، بطني قلبت، عندكيش جُعضيض أو حتة مخلل؟؟!!

ضحكت «سعادة» ضحكةً عاليةً مُجلجِلةً وهي تحاول بها إزالة كلِّ التوتُّر الذي صاحَبَ الدقائق الماضية، في الوقت الذي اتّجه فيه «حلو» إلى الحمام وهو يحمل كوب الشاي باللبن ويحمل أيضًا على وجهه علامات حزنٍ مكبوتٍ.

*****

٢

أسرع «حلو» الخُطى عبر الرواق الطويل إلى مكتبه داخل مبنى دار الكتب والوثائق القومية، ذلك المبنى المُطلّ على كورنيش النيل برملة بولاق، والذي يَحوي بداخله ملايينَ مِن الوثائق والمخطوطات والبرديّات النادرة التي يعود تاريخ العديد منها إلى أكثر مِن ستة الآف سنةٍ ويزيد.

كانت عقارب الساعة في يده تُشير إلى الثامنة إلّا بضع دقائقَ صباحًا، حين دلف إلى غرفته التي تضمُّ عددًا مِن المكاتب الإدارية الخاصَّة بزملائه في العمل مِمّن يشاركونه الغرفة نفسها.

كان «حلو» أول مَن يصل إلى مكتبه كالمعتاد، فقد كان مِن القلائل في هذا المكان الحكوميّ الذين يعشقون عملهم، ويقدِّرونه تمام التقدير.

جلس إلى مكتبه وهو يتذكَّر رفضه التامَّ الالتحاق بكليةٍ أخرى غير كلية الآداب على الرغم مِن أنَّ مجموع درجاته في الشهادة الثانوية كان يؤهِّله بسهولةٍ ويُسرٍ للالتحاق بكلياتٍ أخرى يُطلقون عليها كليات القمة، يعتقد الجميع أنها أوفر حظًّا في مجالات العمل مُستقبلاً، وكان على رأس هؤلاء الناس والداه اللذان عارضاه بشدةٍ لاختياره لمثل تلك الكلية، وظلَّا فترةً طويلةً يحاولان بشتى الطرق توضيح مساوئ مستقبلها وفرص العمل المحدودة التي تكاد تقترب من الانعدام، وفرصه الضئيلة في الحصول على عملٍ مشرِّفٍ يساعده على تحمُّل مشاقِّ الحياة وتكوين أسرةٍ وفتح بيتٍ، ولكنه صمَّم على هذا الاختيار رغم هذه المعارضة الشديدة التي وصلت في بعض الأحيان إلى حدِّ الزجر والنهر والوعيد، وبالفعل، التحق «حلو» بتلك الكلية، واختار الانتساب إلى قسم الوثائق والمكتبات تحديدًا لوَلَهِه الشديد بالكتب والمخطوطات والتاريخ الوثائقيّ، مِمّا جعله مُتفرِّدًا بين أقرانه مِن الدارسين، ومتفوِّقًا بشكلٍ لافتٍ خلال رحلته الدراسية، التي توّجها بالتخرج حاصلاً على تقدير امتيازٍ، وهو الأمر الذي دفع إدارة الجامعة إلى مطالبته بأنْ يُكمل دراسته الأكاديمية داخل جدران هذا الصرح التعليمي ليُصبح مُعيدًا، ولكنه أبى ورفض بهدوءٍ مكتفيًا بهذا القدر الأكاديمي، وقد دفعه ظمأه الشديد ورغبته

في خوض التجربة العملية إلى السعي وراء وظيفةٍ تقرِّبه مِن هوايته وعشقه الأوحد.

وكأنَّ القدر قد استجاب لمجهوداته وسعيه الحثيثين طوال أعوامٍ وأعوامٍ مِن الاجتهاد والمثابرة، حين استطاع أحد أساتذته تزكيته بشدةٍ في أروقة الوزارة ليتمَّ وضع اسمه على رأس لائحة المقبولين للعمل الحكومي في دفعته.

تذكَّر سنوات الوظيفة الأولى الدؤوبة، وتذكَّر كفاحه لسنواتٍ في العمل بقوةٍ وتقليله لنفقاته لأقصى درجةٍ ممكنةٍ فقط لكي يستطيع تدبير إيجار بيتٍ مستقلٍّ وادِّخار مصاريف زواجه من الإنسانة التي تنتظره منذ سنوات، «سعادة».

ابتسم حين تذكَّرها وهو يعلم أنّه الآن قد حقق جزءًا كبيرًا مِن حلمه، وها هو يعمل بالفعل وسط ما يعشق، يُطالع يوميًا عشراتٍ وعشراتٍ مِن الكتب والوثائق التاريخية، ويعمل بقوةٍ وحُبٍّ على توثيقها بكلِّ وسائل التوثيق الحديثة.

كان لحبِّه الشديد لِمَا يقوم به وإقباله الدائم عليه برحابة صدرٍ أثرٌ مميزٌ على ملاحظة رؤسائه لهذا الكدِّ والاجتهاد في العمل، فلاقى منهم جميعًا

كلَّ التشجيع، وكان دائمًا محطَّ اختياراتهم لأداء بعض المهام التي تستحقُّ الاهتمام وتستدعي خبرةً ومهارةً مِمّا زاده سعادةً ورضًا.

قطع حبل أفكاره دخول «عصام عبدالراضي» زميله في العمل وهو يلهث بشدةٍ إلى المكتب.

كان عصام شابًا في نفس عمر «حلو» تقريبًا، أصلع الرأس، بدينًا بشكلٍ واضحٍ، تحمِلُ ملامحه قدرًا من الطيبة وتدلُّ ملابسه على أنه مِن طبقةٍ جيدةٍ، نظر إلى «حلو» وهو يشرع في الجلوس قائلاً:

- صباح الفل يا عم النشيط، أنت يا ابني بتبيع لبن وتطلع على الشغل؟!!

ابتسم «حلو» دون أنْ ينظر إليه وهو يردُّ قائلاً:

- صباح العسل يا عم الكسول، أنت اللي بتخلص قِدرة الفول وتيجي.

نظر إليه «عصام» بعد أن ارتمى فوق مقعده بتعبٍ وعلى وجهه ارتسمت اندهاشةٌ مصطنعةٌ، وهو يقول:

- كسول؟؟ يا راجل دي الساعة تمانية وعشرة بالظبط؟!! اومال اللي حيوصل بعد كدة حتقول عليه ايه؟؟

- أنت كسول، اللي حيجي بعد كدة حيبقى دبدوب.

- آآآآه دا انت رايق بقى على الصبح وجي تهرَّج أصلاً، ده موضوع تاني.

- لا والله يا عصام، ولا رايق ولا حاجة، بالعكس، أنا مصدع ومتضايق شوية.

نظر إليه عصام هذه المرة باندهاشةٍ حقيقية، ثم ما لبث أنْ بدأ بالتراجُع بجذعه مرتكزًا على مقعده، مادًا يديه ضاربًا الهواء في حركاتٍ مسرحيةٍ تدلُّ على أنه يعاني رعبًا كبيرًا وهو يقول:

- مين ده؟؟ انت متضايق؟؟ حلو، متضايق؟؟ انت مين يا راجل انت؟؟؟ وعملت ايه في صاحبي؟؟؟ انطق، انت اكيد مخلوق فضائي، فين صاحبي يا جدع انت، خطفتوه في الفضاء يا جبناء؟؟!!! طيب كنتوا خدوني معاه والنبي فسحوني معاه.

ابتسم «حلو» ابتسامةً هادئةً وهو ينظر إلى مكتبه دون أنْ يرفع نظره إلى «عصام» وقال بخفوتٍ دون أنْ تفارقه الابتسامة:

- الدنيا ما بتديش كلّ حاجة يا عم عصام، ما انت عارف.

اعتدل «عصام» في مَجلِسه وتبدَّلتْ ملامح وجهه وبَدَتْ عليها علامات

الاهتمام الحقيقيّ، وهو يقول بهدوءٍ متسائلاً:

- موضوعك انت وسعادة برضه؟!!

أومأ «حلو» برأسه إيجابًا ببطءٍ دون أنْ ينطق والابتسامة الخافتة الحزينة لا تزال على شفتيه، بينما لم يُشِحْ بنظره عن ذات النقطة التي تسمَّرتْ فوقها عيناه فوق مكتبه قبل دخول «عصام»، وكأنها بؤرةٌ مغناطيسيةٌ تجتذب نظراته لا يستطيع أنْ يَحيد عنها، مِمّا دفع عصام إلى استكمال كلامه:

- حلو، انت وسعادة اخواتي، انت يا عم شغال معايا بقالك فوق العشر سنين، قبل ما تتجوزها أساسًا، ولازم تفهم إنّ الموضوع ده مش بإيدك ولا بإيدها، دي حاجة بتاعة ربنا يا معلم، وبعدين يا أخي انت قلتلي كتير قوي إن «الزوهروميت» دكتور الـ...

قاطعه «حلو» بسرعةٍ قائلاً:

- زوفلوميط اسمها.

ابتسم «عصام» ابتسامةً واسعةً، وهو يُكمِل:

- الزوفلوميط دكتور يا سيدي، قالوا لكم إن مفيش حاجة عضوية أو مشكلة

عويصة تمنع الحمل، فلازم يكون عندك أمل انت وهي أكتر من كدة شوية، وتفضلوا تحاولوا بانتظام، هو انا اللي حقولك يا حلو؟؟ دا انت سحابة بتمطّر علينا سيول أمل يا ابني، انت مش محتاج اني أقولك ده، انت عارف.

أخذ «حلو» شهيقًا طويلاً بطيئًا، ثم أفرغه دفعةً واحدةً بزفرةٍ قويةٍ سريعة، وكأنه يُفرِغُ معها كلَّ التوتُّر والحزن مِن داخل صدره، ثم حرَّك يديْه الكامنتين فوق المكتب وهو ينظر إلى «عصام» قائلاً بابتسامةٍ حزينة:

- ربنا يسمع منك يا عصام، ربنا يسمع منك.

قطع حديثهما وصول اثنين مِن الزملاء إلى المكتب ليتبادلا تحية الصباح مع «حلو» و«عصام»، مع قليلٍ مِن المداعبات وسريعًا امتلأت المكاتب الأربع في الغرفة بموظفيها، وبدأ يوم العمل، كالمعتاد.

*****

ارتفع رنين الهاتف الأرضيّ في المنزل، وهرولت «سعادة» مِن داخل المطبخ لتجيب النداء وهي تشرع في تجفيف يديها من أثر المياه والصابون بقطعة ملابسَ داخليةٍ قديمةٍ تخصُّ «حلو»، بينما بللت المياه جزءًا لا بأس به مِن ملابسها، التقطت سماعة الهاتف بسرعةٍ وهي تجيب:

- الو.

جاءها عبر الجانب الآخر صوت والدتها التي تتّصل بها بشكلٍ يوميٍّ في مثل هذا الوقت مِن كلّ يومٍ، لتطمئنّ عليها ويبدآ في الحديث حول أمورٍ مكررةٍ لا تملّان أبدًا من تكرارها:

- الو، أيوة يا حبيبة أمك صباح الفل.

- صباح النور يا ماما.

- البلياتشو نزل والا لسة بيتنطظلك على حبال الغسيل؟

- ماما، لو سمحتي قولتلك بلاش كدة، أنا أصلا مش ناقصة وتعبانة.

- تعبانة؟؟ من إيه يا قلب أمك؟؟ هو المخفي نكد عليكي؟؟ زعلك؟؟ عمل حاجة اللي ينقرص في قاولونه ده؟؟

- ماما، مفيش حاجة حصلت، وبلاش بقى الطريقة دي وبلاش الكلام ده على حلو لإني فعلا بتضايق وانتِ عارفة كدة كويس.

- عارفة، عارفة وساكتة وشايلة في قلبي ومكتومة، كله بسبب منبع الغم اللي انتي وابوكي بليتونا بيه، أنا عارفة، ابوكي كان طول عمره يحب يتفرج على

السيرك وما صدّق شاف البلياتشو ده وجوزهولك ووافقك على طول، اااااه يا مُرّي، اكيد منكد عليكي، اكيد.

- يا ماما لأ، حلو مالوش دعوة، بقولك مفيش حاجة، انا بس صاحية تعبانة وشكلي داخل عليا دور برد، شوية وحابقى كويسة، مفيش حاجة يا ماماااا.

وكالعادة، لم تقتل هذه الإجابة فضول الأم اللحوح التي كانت مصممة على أنْ تُعاوِد السؤال حتى لو وصل بها الأمر إلى إعادته ألف مرةٍ، إنه حلو بكلّ تأكيدٍ، لا داعي للمراوغة، هكذا تسير الأمور في الدنيا، ولسوف تظلُّ الأمُّ تتساءل حتى تصل في النهاية إلى السبب الحقيقيّ الذي تجد عليه ابنتها هذه اللحظة، وهو الأمر الذي تعلمه «سعادة» جيدًا، وتعلم أنّ أمّها بشكلٍ أو بآخر لا تمانع الإصرار بالسؤال حتى وإن قضت ما تبقّى مِن حياتها على الجانب الآخر مِن الهاتف فعاودت السؤال قائلةً:

- بقى بذمتك ودينك ما نكدش عليكي انهاردة؟!! ما غمش نفسك أكنك واكلة رغيف بابا غنوج حمضان؟!! ده ما فردش وشه من يوم ما اتجوزك غير مرتين تلاتة اما الأهلي كسب بطولة أفريقيا، ده محتاج فرع شجرة تتحط في ركن البيت ويطلع يزعق عليه زي البومة.

تحوّل صوت «سعادة» بسرعةٍ إلى غضبٍ عارمٍ مُتصاعِدٍ، انفجر في أذن والدتها مِن خلال سماعة الهاتف لتصرخ بكلّ قوّتها ويرتجّ جسدها انفعالاً:

- يا ماما قلتلك مفيييش، مفييييش، مفيييش حاجة، حرام عليكم بقى ما تضغطوش عليا اكتر من كدة كفاية اللي انا فيه بقى، لو في حاجة حقول يا ماما، ولو مش عاوزة اقول مش حقوووول يا ماما، حرام عليكم بقى، حرااام.

وتركت السماعة لتسقط من يدها وتستقرَّ إلى جانب قدمها، بينما دفنت وجهها في راحتيها وأجهشت ببكاءٍ عميقٍ قويٍّ، وفوق فخذها امتدَّ سلك سماعة الهاتف التي خرج من طرفها همهمة أمها غير المفهومة والتي تدلُّ على أنّها ما زالت مُصرَّةً إصرارًا رهيبًا على معرفة سبب حزن «سعادة»!

*****

أشرَفَ يومُ العمل على الانتهاء، ولم يتبقَّ مِن الوقت سوى دقائق على موعد انصراف الموظفين ، بينما انهمك «حلو» في كتابة تقريرٍ حول إحدى المخطوطات التي تسعى دار الكتب إلى توثيقها إليكرتونيا بواسطة أجهزة المسح الرقمي الحديثة التي لا يوجد مثيلٌ لها في الشرق الأوسط كله، والتي قامت مكتبة الكونجرس الأمريكي بإهدائها إلى مصر لتوثيق هذا التراث

الإنسانيّ والحضاريّ الذي يُعدُّ الأكبر على مستوى العالم بلا منازعٍ، وذلك حين دلف «عصام» إلى المكتب وهو يحمل بعض الملفات قائلًا:

- حلو، الأستاذ أحمد عبد النبي عاوزك!!

ارتفع رأس «حلو» وانعقد حاجباه بدهشةٍ وهو يقول:

- الأستاذ أحمد عبدالنبي؟!! غريبة! عاوزني أنا؟؟ طيب مكلمش الريسة ليه؟!! يا ترى وكيل الوزارة شخصيًا عاوزني في إيه؟؟ على آخر اليوم كدة، استر ياللي بتستر يا رب، هو يوم مدوحس من أوله.

أردف «عصام» بسرعةٍ:

- يا عم يعني حيكون عاوزك في ايه؟ قوم بسرعة روح شوف الراجل عاوز ايه وانت تعرف.

أغلق «حلو» تقريره دون أنْ يُكمله، ونهض مِن مكتبه وبدأ في تعديل هندامه باهتمامٍ وهو يستقلُّ المصعد متجهًا إلى الطابق الأخير في المبنى حيث ينتظره الأستاذ «أحمد عبدالنبي»، الذي استقبله بترحابٍ وبشاشةٍ، وعلى الرغم مِن حالة الرهبة التي تملّكت «حلو» في البداية، لفارق السنّ والمستوى الإداريّ الكبير، إلا أنّ الرجل استطاع بخبراته وسماحته الكبيرتيْن أنْ

يكسر هذا الحاجز ويتجاذب أطراف حديثٍ وديٍّ لطيفٍ خارج سياق العمل مع «حلو»، الذي بدأ مع مرور الدقائق يشعر بالارتياح، ولكنَّ هذا الارتياح لم يُخْفِ أبدًا نظرات التساؤل والفضول في عينيه حول ماهية استدعائه بهذه الطريقة، وفي مثل هذا الوقت، وهي النظرات التي شعر بها الأستاذ «أحمد» بخبرة سنواته الكبيرة، وكانت سببًا في ابتسامته المستمرة التي حاول من خلالها ادخال شعور الطمأنينة على قلب «حلو»، واتبعها بقوله:

- ها بقى يا حلو، أخبار الشغل ايه؟

ابتسم «حلو» ابتسامةً واسعةً وهو يردُّ بأدبٍ واهتمامٍ:

- الحمد لله يا فندم، كل شيء ممتاز بفضل توجيهات سعادتك.

- يعني مبسوط في الشغل هنا؟

- يا فندم مش بس مبسوط، انا كمان مُستمتع وسعيد جدًا والله.

ابتسم الأستاذ «أحمد» ابتسامةَ أبوّةٍ، وهو يقول:

- عارف يا حلو، انت بتفكرني بنفسي زمان وأنا في سنك، كنت بحب الشغلانة دي قوي، المكان ده يا حلو، مش عاوز موظفين، ده عاوز اصحاب مزاج عالي،

ناس بتحب الشغل ده، مش بتأديه بس.

ابتسم «حلو» وقد تفهَّم المغزى مِن كلمات الأستاذ «أحمد» وعاود النظر باهتمامٍ وكأنه يطالبه بمزيدٍ مِن الإفصاح عن سبب استدعائه، فأردف الأستاذ «أحمد» مُكملاً:

- احنا عندنا موقف مهم محتاجين فيه حد زيك يا حلو، حد زيك انت بالذات.

بَدَتْ علامات الاهتمام على وجه «حلو» وهو يقول:

- أؤمر يا فندم، تحت أمرك.

ابتسم الأستاذ أحمد ابتسامةً هادئةً وهو يعاود الحديث:

- الموقف اللي محتاجينك فيه، موقف كان بيتطلب مننا نختار شخصية معينة، شخصية مهتمة ومؤمنة بشغلها، وبتحبه، وتخاف عليه، زيك كدة يا حلو.

أطرق «حلو»، والابتسامة لم تغادر شفتيه وهو يقول:

- يا فندم كلام حضرتك شرف ليا فعلاً، وانا في منتهى السعادة بالإشادة دي.

أكمل الاستاذ «أحمد» قائلاً:

- دي مش مجرد إشادة يا حلو، دي متابعة لسنوات طويلة، وتقارير بتترفع لينا، واختيارات دقيقة لناس معينة، عندها خبرات محددة، ودراسات اكاديمية مخصوصة، واهتمام حقيقي وحب للتاريخ والوثائق، وانت عندك كل ده من واقع تواجدك معانا هنا الفترة دي كلها، انا عارف ده، عشان كدة، الوزير وافق على طلبي اللي وصيت عليك فيه بنفسي، انك تكون مندوب دار الكتب في الموضوع ده.

بدا الاهتمام مُقترنًا بالتردُّد على وجه «حلو» مَخافة أنْ يكون قد تمَّ انتدابه للعمل في أيِّ شيءٍ يُبعده عن التعامل المباشر مع الوثائق والمخطوطات، ولكنَّ توتره لم يَطُلْ كثيرًا، حيث أكمل الأستاذ «أحمد»:

- انت يا حلو حتكون مندوب دار الكتب في حصر المخطوطات الأثرية الجديدة اللي اكتشفناها في غرفة سرية تحت متحف دار الكتب القديم اللي في باب الخلق.

بَدَت الدهشة على وجه «حلو» وهو يكرِّر السؤال بحذر:

- غرفة سرية؟!!

أكمل الأستاذ «أحمد» حديثه قائلاً:

- أيوة، غرفة اكتشفناها من حوالي خمس سنين، والوزارة تكتمت على الخبر في الوقت ده، وحافظت على السر تمامًا لحد ما نكون جاهزين دلوقتي نعمل الحصر للغرفة دي.

صمت «حلو» للحظاتٍ قبل أنْ يسأل:

- طيب مين حيكون في اللجنة يا فندم معانا في الحصر؟

أسرع الأستاذ «أحمد» بإجابته:

- لا لا، لجنة ايه؟، اللجنة دي حا تتكون بعد الحصر، الموضوع لسة في طي الكتمان، احنا عاوزين نعمل حصر مبدئي بعدد الكتب الأول وبعدين نشكل لجنة لرفع المحتويات ونقلها هنا عشان التوثيق والدراسة وباقي الشغل بتاعنا، المهم ان في البداية عاوزين نعمل الحصر ده في هدوء بعيد عن الإعلام والكلام ده.

نظر «حلو» إلى الأستاذ «أحمد» لوهلةٍ، ثم بادر بسؤاله:

- طيب يا فندم معلش، سؤال، انا مين حيوصلني للغرفة دي وحضرتك بتقول إنها سرية ومحدش يعرف عنها حاجة؟

ابتسم الأستاذ «أحمد» لسؤال «حلو» الذي يدلُّ على أنّه في غاية التركيز وأنَّ الموضوع بالفعل قد استرعى اهتمامه، ثم قال:

- الحج محمد العزازي.

نظر له «حلو» نظرة تساؤلٍ، مِمّا جعل الأستاذ «أحمد» يُكمِل قائلاً:

- الحج محمد العزازي موظف قديم جدا في متحف دار الكتب آخر سنة ليه في الشغل السنة دي قبل المعاش، حيكون في انتظارك بكرة الصبح عشان يساعدك في الوصول للمكان، وهو الوحيد في المتحف اللي يعرف مكان الأوضة.

صمت «حلو» وعلى وجهه علامات التفكير، وما هي إلّا لحظاتٌ قليلةٌ حتى سأل بأدبٍ:

- بس يا فندم مش ممكن التعامل في الموضوع ده في فترة النهار، يخللي الموضوع عرضة إلى إنه يخرج من نطاق السرية المفروض؟!

نظر الأستاذ «أحمد» إلى «حلو» نظرة إعجابٍ وهو يقول:

- واضح إننا ما غلطناش أبدًا إننا اخترناك انت بالذات للمهمة دي، كلامك

بيوضح تمامًا إنك مهتم بتفاصيل الموضوع، مش مجرد مهمة وظيفية حتأديها وترجع مكتبتك، طبعًا عندك حق، عشان كدة اتفاقنا مع الحج محمد العزازي إنك تكون موجود معاه آخر النهار ، وما تبتدوش شغل غير بعد مواعيد العمل الرسمية، بعد انصراف كل الموظفين اللي شغالين في المتحف.

أومأ «حلو» برأسه متفهمًا، ثم قال متسائلاً:

- طيب يا فندم، الوقت المحدد للموضوع ده قد أيه؟

أجاب الأستاذ «أحمد» بهدوءٍ:

- الموضوع ده مهم يا حلو، خد وقتك، اعتبر نفسك في مأمورية مفتوحة لمدة أسبوع مبدئيًا من أول بكرة، ولو الموضوع محتاج أكتر من كدة، قولي وكمِّل المأمورية، المهم، تخرج من البيت على هناك، وتخلص شغل قبل النهار ما يطلع، وتروّح بيتكم، أعتقد أسبوع حيكون كفاية للحصر المبدئي وتقدر تعمل تقرير أولي، وبعد كدة نشوف خطة حصر طويلة الأجل.

تردَّد «حلو» قليلاً قبل أن يقول بخفوتٍ:

- أيوة يا فندم بس، الريسة، أنا ما أخدتش موافقتها ولا قلت لها حاجة لسة وعايـ...

قاطعه الأستاذ «أحمد» بحزمٍ، قائلاً:

- أنا كلِّمت الريسة خلاص يا حلو وفهِّمتها إني محتاجك في مأمورية خاصة بالوزارة ضروري، من غير تفاصيل وأخدت الإذن.

ابتسم «حلو» ابتسامته البشوشة، قائلاً:

- خلاص يا فندم، اعتبر الموضوع منتهي إن شاء الله، من بكرة حاروح أقابل الحجّ محمد العزازي وابدأ شغل، وإنْ شاء الله أنهي الموضوع ده في أسرع وقت ممكن.

اقترب منه الأستاذ «أحمد»، وربَّت على كتفه قائلاً:

- عارف إنك قدها يا حلو، وعشان كدة اخترتك بالذات للموضوع ده، بالتوفيق يا ابني، خللى بالك، الموضوع مش سهل أبدًا.

ابتسم «حلو» وصافح الأستاذ «أحمد» مع تبادل عبارات الشكر والامتنان والوعد ببذل أقصى الجهد، وخرج مِن مكتبه ودقَّات قلبه تزداد سرعةً مِن فرط الإثارة، مع كلِّ خطوةٍ يخطُوها.

*****

صعد «حلو» الدرج إلى شقته بهمّةٍ ملحوظةٍ، مُرتقيًا درجات السلم بسرعةٍ، ثم دخل إلى منزله وهو يُطلق صفيرًا مميزًا يدلُّ على أنّه رائق البال ويشعر بسعادةٍ غامرةٍ، على غير عادته في سنواته الأخيرة التي تبدَّل فيها حاله رويدًا رويدًا حتى بات صامتًا أغلب الوقت، هادئ الطباع، غابت عنه روح الدعابة التي كانت تجري في عروقه مجرى الدم منذ نعومة أظافره.

كان يعيش لحظاتٍ لم تتكرَّر منذ سنواتٍ طويلةٍ للغاية، كان يشعر بالسعادة بالفعل، وكان إحساسه بأنه يعيش تلك اللحظات بحدِّ ذاته يزيده سعادةً، لذا ترك لنفسه الاستمتاع كاملاً بتلك اللحظات.

وما إنْ أغلق باب المنزل وراءه، حتى التفت ليجد «سعادة» تجلس في كُرسيِّها تملؤه بلا حراكٍ، وهي تنظر إليه نظراتِ دهشةٍ وارتيابٍ كبيرتين، حتى إنّه تلعثم وهو يخاطبها قائلاً:

- بسم الله الرحمن الرحيم، سلامُه عليكم، مالك قاعدة كدة يا روحي؟

حدَّقت فيه لوهلةٍ قبل أنْ تُجيب بنبرةٍ غريبةٍ:

- روحك؟!! مممم، وعليكم، السلام، ورحمة، الله، وبركاته.

ثم التزمت الصمت وهي ترقُبُه كالصقر، بينما وقف يتطلَّع إليها وهو لا يفهم سرَّ جلوسها في مواجهة الباب وسرّ تلك النبرة المُخيفة التي ردَّتْ بها، فكَّر أنْ يسألها ثم شعر أنه لا داعٍ، تردَّد، ثم حسم أمره في النهاية مُتسائلاً:

- خير يا سعادة يا حبيبتي، إيه اللي مقعدك في وش الباب كدة؟؟ انتي قافشة فار جبلي من اللي بتطارديهم في المطبخ، وجري على الصالة وخايفة يفتح الباب ويُخرج؟؟ هاهاهاهاه، هاها، ها.

قضم ضحكته التي خرجت على الرغم منه بلهاءَ لا تُمُت للموقف بصلة، بينما ظلَّتْ ترمقه بنظرةٍ ثابتةٍ لم يَبْدُ عليها إطلاقًا أنها قد استمعت لحرفٍ واحدٍ مما قال، مما جعله يتوتر قائلاً في محاولةٍ لإزاحة هذه اللحظات:

- يا ترى، يااااا هل ترى، عملالنا ايه من ايدك الحلوين دول النهاردة يا بطبوطة انتي يا كلبوظة يا كرونباية حياتي؟؟؟ كرونباية انتِ، وربنا، مش كدة؟؟؟ يا كرومباية، كروووومبة، هاهاهاهاه، هاها، ها، ها.

ضحكةٌ بلهاءُ أخرى قضمها بعد أنْ شعر أنه مُصطنِعٌ للغاية، وكأنَّ «سعادة» قد تحوَّلت إلى تمثالٍ مِن الرخام وهي ترمقه بنظرةٍ لا تزيغ، وعلى وجهها علامات الاندهاش المخلوط بالاتهام، مما جعل «حلو» هذه المرة يُجزم بأنَّ هناك كارثةً ما قد حلَّتْ عليه، ولكنه لا يعلمها بعد، لقد كان في حالةٍ مزاجيةٍ

رائعةٍ ولا يودُّ أبدًا أنْ يُعكِّر صفو هذا الاحساس أيُّ شيءٍ يُنغِّص عليه تلك اللحظة، فقال بهدوءٍ حذرٍ:

- هو، ان شاء الله، بإذن الله تعالى يعني، خير ان شاء الله يا رب، في حاجة يا سعادة يا حبيبتي؟؟

نظرت إليه سعادة وقتًا طويلاً بذات النظرة، مرَّت عليه كالدهر، دون أنْ تحرِّك ساكنًا من مكانها، ثم أجابت بهدوءٍ:

- انا اللي محتاجة إجابة على السؤال ده يا حلو، هو في حاجة؟؟؟

بَدَتْ على وجه «حلو» علامات عدم الفهم ليتساءل:

- في حاجة ازاي يعني؟؟ مش فاهم السؤال، فين السؤال؟

ازداد انعقاد حاجبي «سعادة» وهي تقول:

- انت عارف بقالك كام سنة ما سمعتكش بتصفر؟؟؟ عارف بقالك كام سنة بتخش ترمي السلام اكنك بترميه على ناس قاعدة على قهوة وانت معدي وتخش اوضتك تغير وتاكل وتنام من غير كلمتين على بعض؟؟؟ عارف بقالك كام سنة ما هزرتش معايا حتى قبل النوم؟!!!

توتر «حلو» للحظاتٍ وهو يُفكِّر في المأمورية التي أدخلت على قلبه الفرح، وبالطبع حاول أنْ يُخفي تلك السعادة عن «سعادة»، فالأمر لا يزال سريًا ، في طيِّ الكتمان كما وعد الأستاذ «أحمد»، وهو عادةً لا يتحدَّث في تفاصيل عمله مع «سعادة» منذ زواجهما، ولن يغيِّر هذه العادة الآن، بحث في رأسه عن إجابةٍ مُقنعةٍ، ولكنه لم يجدْ، مما دفعه إلى القول:

- عادي يعني يا سعادة، ده انا طول عمري يعني لذيذ وسكر ولطيف وقمر، وبعدين ما انتي عارفاني من ايام الجامعة، هو مين اللي كان بيضحكك على طول ومضحك أمة لا إله إلا الله، ما هو أنا، حصل ايه يعني؟!

نظرت له «سعادة» بتوجُّسٍ، وهي تُحدِّق فيه مُحاولةً سبر أغواره، ثم قالت:

- شكلك كدة انهاردة، مش مطمنِّي، مش عاجبني.

انعقد حاجبا «حلو» مع شعوره أنها قد لاحظت تلك التغُيرات التي صاحبت شعوره بالفرح لمهمته الجديدة، وشعر بالحنق أنها تملك دائمًا تلك القُدرة على معرفة ما يُخفيه مِن مشاعر، فأجاب بتوتُّرٍ:

- ليه يعني؟؟؟ في بُقع مثلثة في وشي؟؟ حصبة؟؟ داخل من باب الشقة على تلات حتت مثلا؟؟؟ وإلا ساحب معايا كائن فضائي مريخي أخضر من غير

دماغ ؟؟؟؟ هو إيه اللي شكلي مش عاجبك ده؟!!

ولكنَّ محاولاته لم يُكتب لها النجاح، وظهر ذلك جليًا على وجه «سعادة» التي عاودت سؤاله:

- أنت ناسي إنك نازل النهاردة الصبح، وبوزك، الله أكبر، اللهم لا حسد، أطول من بوز العربية الكاديلاك موديل سنة سبعين؟؟ يا ترى ايه اللي مهوّي على مراوحك قوي كدة ومخليك راجع مبسوط وبتصفر لحن اغنية «وبقولك ايه تجيش نعيش»؟

أجاب «حلو» بتوترٍ وسرعةٍ:

- ده مش لحن «وبقولك ايه تجيش نعيش» على فكرة.

- لا هو لحن «وبقولك ايه تجيش نعيش».

- والمصحف الشريف يا سعادة ما لحن «وبقولك ايه تجيش نعيش».

- يا حلو، أنا سمعاه بوداني هو لحن «وبقولك ايه تجيش نعيش».

بدأ «حلو» في الانفعال مع إصرار «سعادة»، فقال بصوتٍ بدأت نبراته في الاحتداد:

- انتي بتسمعي أيّ كلام يا سعادة، وأنا بقولك إنه مش «وبقولك ايه تجيش، نتزفت، نعيش» خلاص بقى.

- هو اللحن، لما تعمل ايه، أنا متأكدة.

توقَّف «حلو» وقد بدأت الدماء تتصاعد إلى رأسه، وأشار بكلتا يديه إلى أعلى، وهو ينظر إليها بغضبٍ مستنكرٍ:

- إيه ده؟؟؟ آآآآآآآآه، هو انهاردة تلاتاشر في الشهر؟؟؟ مش تقولي من الصبح، انا كنت ناسي يا شيخة، تصدقي ظلمتك، فهمت فهمت، ده يوم النكد الشهري بتاعنا، انتي عاوزة تتخانقي، معلش ما اخدتش بالي، هيا بنا، هيا بنا نبدأ فقرات نكد الفيل البتسواني المأسوف على شبابه.

احمرَّ وجه «سعادة» وهبّت من كرسيها واقفةً بحدَّة، وهي تقول بصوتٍ بدأ في الارتفاع:

- الفيل اللي بتتريق عليه كان غزال قبل ما يدخل بيتك، وطبعًا محاولاتك إنك تغير الموضوع مش حتنفع يا حلو.

أردف «حلو» صائحًا:

- قولت لك مش لحن زفت «وبقولك ايه تجيش نعيش».

أشارت له «سعادة» بالتوقُّف قائلةً:

- ما تستهبلش يا حلو، انا مش بتكلم عن اللحن، انا عاوز اعرف السبب، حالاً يا حلو، حاااالاً.

أجاب «حلو» بسرعةٍ بنبرةٍ تدلُّ على العناد:

- سبب؟؟ مفيش سبب، ده العادي بتاعي، انا طول عمري كدة، ظريف وخفيف ودمي سُكر، ايه؟؟ جرى ايه؟؟؟ مستكترين عليا اكون مبسوط؟؟؟

ازداد غضب «سعادة» وهي تقاطعه قائلةً:

- يا حلو ما تخلينيش اتجنن يا حلو، انت بقالك فوق السنتين شبه دولاب خزين المطبخ اللي بعجل، ما بنشوفش سنانك غير وانت بتاكل او بتتاوب، وما ضحكتش مرة واحدة غير اما عرفت إنّ ماما عضًها كلب وهي بتجيب الخُضار من السوق.

أسرع «حلو» بالمقاطعة قائلاً:

- أنا كنت بضحك على الكلب على فكرة، مش على طنط، وبعدين ماهي

كمان جريت وراه بعد كدة لحد ما طلع على الشارع العمومي وخبطته عربية، اهو اخد جزاءه، يستاهل عشان يبطل رمرمة.

أكملت «سعادة» بنبرةٍ حادَّةٍ وصوتها ما زال مرتفعًا:

- ما لاكش دعوة بماما وقولي بقى من الآخر كدة، مين دي اللي مخلياك مبسوط قوي وسعيد وراجع عمال تصفر، تصفر، ولا اكنك حكم ماتش المانيا والبرازيل؟!!

ارتفع حاجبا «حلو» باندهاشٍ حقيقيٍّ، وهو ينظر لها مكررًا باستنكارٍ:

- مين اللي «مخلياني»؟؟ نعععععم؟؟؟ مش فاهم، انتي فاكراني مبسوط بسبب واحدة ست مثلاً؟؟؟

أشاحت «سعادة» بوجهها، وهي تتحرك بغضبٍ وتوترٍ مرددةً بصوتٍ مرعبٍ:

- اومال حيكون ايه مثلاً؟؟؟ شغلك اللي شغاله بقالك عشر سنين؟؟؟ والا جالك خبر ان عمتك فاتن اللي في البرازيل عضها قرد بابوني وماتت وانت ورثت عنها كل املاكها من أروع منتجات مزارع البُن البرازيلي بتاع شارع فيصل؟؟؟

قطاعها «حلو» باقتضابٍ:

- انا ماليش عمة اسمها فاتن عايشة في البرازيل، عمتي فاتن في الكويت.

صرخت «سعادة» بكلِّ قوَّتها قائلةً:

- حللللللللو، ما تجننيش، مين اللي مخلياك مبسوط قوي كدة؟؟، انطق ما تجننيييش.

أجاب «حلو» بسرعةٍ ممتزجةٍ بالغضب ونبرة صوته تتَّسم بالضجر:

- ان شالله اطفحها لو كانت حاجة من اللي في دماغك، «مخلياني» ايه وزفت ايه؟؟ هو انا ناقص قرف اصلاً، حد يتهبب يفكر كدة تاني؟؟؟ دا انا بقالي خمس سنين من السرير للحمام للشغل للسرير تاني، ده أنا وحشتني البلكونة، أنا مش طايق نفسي في الأساس، ارحميني بقى يا شيخة.

أشاح «حلو» بوجهه، ملوِّحًا بيديه بغضبٍ وضجرٍ بينما توقَّفت «سعادة» فجأةً، وعلى وجهها علامات صدمةٍ بائسة، تحجَّرت الدموع في مُقلتيها وهي تنظر إليه للحظاتٍ، قبل أن تقول بخفوتٍ:

- بقيت قرف خلاص دلوقتي يا حلو؟ سعادة اللي مستحملة وشايلة المُرّ ده

كله، السنين دي كلها، ومستنياك، ومستحملاك، بقت قرف؟!

صمت «حلو» تمامًا وهو يستند إلى ظهر أحد المقاعد في المنزل دون أن يلتفت إليها، مما جعلها تُردف مكملةً:

- إنما أنت عندك حق، خلاص، سعادة اللي ضحت واللي استحملت ما بقتش سعادة بتاعة زمان، لا الشكل ولا الطبع ولا أي حاجة، حتى مش عارفة تجيب لك الولد اللي نفسك فيه من يوم ما اتجوزنا من خمس سنين.

انتفض «حلو» ملتفتًا وكأنما ضربته صاعقةٌ، وهو يصيح بغضبٍ هادرٍ قائلاً:

- الخلفة الخلفة الخلفة، إيييييه؟!!، انتي كل شوية حتنكدي علينا بسبب الخلفة؟؟ ما خلاص بقى، ارحميني وارحمي نفسك، حاولنا ومش عارفين بقالنا سنين، خلينا بقى نعيش في الهم اللي احنا فيه واحنا مستحمليين وساكتين، ارحمينا بقى، ارحميييينا وارحمي نفسك.

وهنا فقط، أطلقت «سعادة» لدموعها العنان بصمتٍ، أخيرًا باح «حلو» عن مكنوناته دون أن يشعر، مما جعلها تقول:

- فعلاً يا حلو، هو هَم وعايشين فيه، فعلاً، لا بنتكلم ولا بنشوف بعض تقريبًا الا صدف، انت صاحي وانا نايمة، وانا نايمة وانت صاحي، اللي كان ممكن

يجمعنا ويخلينا نستمر، مش مكتوب له انه يكون موجود.

توقفت «سعادة» للحظةٍ، قبل أنْ تقول بنبرة إصرارٍ وعنادٍ:

- أنا ماشية يا حلو، ماشية وسايبة البيت، هاروح لأمي، على الاقل حاكون متأكدة انها مش حتبقى عايشة معايا في هم.

لم ينبسّ «حلو» ببنت شفةٍ، وهو يستمع إليها، ففي داخله كان يوافقها في كثيرٍ مما قالت عن سبب تفاصيل حياتهما التي أصبحت مملةً، بالفعل مسألة الأولاد لها عاملٌ كبيرٌ فيما وصلت إليه حياتهما من توترٍ وفتورٍ، ولكنه أيضا كان يحبها بالفعل، ماذا يفعل؟؟ ماذا يفعل؟؟

كرامته وكبريائه كرجلٍ، منعاه مِن أنْ ينطق في تلك اللحظة، وكان سكوته إيذانًا لها ببدء التحرُّك الفعليّ.

في خلال دقائق، كانت «سعادة» قد انتهت من تحضير حقيبة ملابسَ خفيفةٍ لها، وأبدلت ملابسها، لتفتح باب المنزل، وتصفقه وراءها بعنفٍ، بينما جلس «حلو» في طرف المنزل، دون حراكٍ، وفي داخله تتصارع ألف رغبةٍ بين اللحاق بها، وتَرْكِها بضعة أيامٍ حتى ينتهي من مأموريته علّ الأمور تهدأ قليلاً، وفي النهاية تملَّكته رغبة اليأس في اللحاق بها، فجلس بلا حراكٍ، بينما تبتعد «سعادة» عن المنزل في طريقها إلى منزل والديها القريب من منزلهما، ودموعها تعكس ضوء شمس المغيب بصمتٍ.

*****

٣

استيقظ «حلو» مُنتفضًا على صوت المنبه الذي أشارت عقاربه إلى الحادية عشرة صباحًا، مما جعله ينتفض مجددًا وهو يحدِّق فيه بذهولٍ وعقله يصرخ بأنه قد تأخَّر عن موعد العمل، واعتدل في مجلِسه فوق الفراش مُسرعًا منتفضًا، وهو ينادي بصوت منزعج:

- حرام عليكي يا سعادة الساعة حداشر، انتي بتستهبلي؟!! سايباني نايم كل ده؟!

ولكنَّ «سعادة» لم تُجبْ هذه المرة، مما جعله يسترجع ما حدث أمس ليتذكَّر أنها ليست في المنزل لأول مرةٍ منذ زواجهما، وأنه من قام بضبط توقيت استيقاظه لأول مرةٍ في تاريخ عمله على هذا التوقيت، بعد أنْ قرَّر

الاتجاه إلى مأموريته التي يجب أنْ تبدأ بعد موعد انصراف العاملين في متحف دار الكتب.

جلس «حلو» قليلاً وهو مُطرق الرأس، تبدو على ملامحه علامات الحزن والإرهاق، ولكنَّ عقله الباطن ظلَّ يرسل إليه مبرراتٍ لتجنُّب هذا الحزن على شاكلة:

«يعني هو أنت أول واحد مراته تسيب البيت شوية، يا عم كبر مخك»

«معلش، اهو أسبوع ترتاح فيه شوية من نكد الفيل البتسواني المأسوف على شبابه المُستمر»

«مراتي مسافرة وحأعمل حفلة بس يا ريت ما تجيش على غفلة»

نفض «حلو» رأسه بعنفٍ، وكأنه يحاول أنْ يُسقط منها تلك الأفكار، في الوقت الذي شعر قلبه بمرارةٍ حقيقيةٍ حين تذكَّر «سعادة».

في الحقيقة لم يعتدْ أبدًا عدم وجودها، كانت له كل أركان حياته، كانت تملأ عليه دنياه.

قفز عقله الباطن مرةً أخرى وهو يصوِّر له «سعادة» قائلاً:

«اه طبعا، لازم تملأ عليك دنيتك وآخرتك، انت مش شايف بقت اد ايه؟؟ انت وش فقر شكلك»

نهض «حلو» من طرف فراشه وهو يزفر بغضبٍ وكأنه يحاول النيل من عقله الباطن الذي يُلقي إليه بتلك الأفكار الشريرة على الدوام، حاله حال كل الأزواج الرجال.

اتَّجه إلى الحمَّام ليغتسل كما يفعل كلّ يومٍ، امتدَّتْ يده ليسحب المنشفة، فوجدها جافةً عكس كلّ يومٍ، حيث دأبت «سعادة» على تركها مبللةً بالماء.

شعر «حلو» بغصَّةٍ في حلقه، وحزنٍ يعتصر قلبه، غصةٍ ما لبثت أن تصاعدت بسرعةٍ، ليتخذ في أعماقه قرارًا نهائيًا منتصرًا على عقله الباطن، قرارًا بأنه سوف يعود مع «سعادة» للمنزل بعد انتهاء اعمال مأموريته الليلة، الليلة وليس غدًا، سيذهب إليها، سيُطيِّب خاطرها ببعض الكلمات الضاحكة كالعادة، ستتدلَّل في البداية، لها كلُّ الحقّ، ثم ستحوم أمها حولهما كطائر العنقاء الذي يبحث عن فريسةٍ، هكذا أخبره عقله الباطن، حقًّا إنها المرة الأولى التي يوافق عقله الباطن على ما يلقي إليه من كلماتٍ هذا الصباح.

سيحاول «حلو» ضبط النفس مع أمها رغم الاستفزازات كما كانت قوات الشرطة تحاول مع المعارضين، وفي النهاية، لا بأس إن انطلقت رصاصةٌ طائشةٌ استقرت في رأس أمها، قضاء وقدر، والإجابة جاهزةٌ، «إحنا ما عندناش خرطوش»، لكم سيكون سعيدًا، سوف يبذل كلّ شيءٍ حتى يعود مع «سعادة» إلى منزلهما.

بدأ الشعور بالراحة يعود تدريجيًا إلى كيان «حلو» مع شعوره بأنه افتقدها بالفعل، لم تمرّ ساعاتٌ إلا وكان قد افتقدها، لا شك، إنه يحبها بالفعل.

أكمل «حلو» ارتداء ملابسه على عجلٍ، وفي تمام الثانية عشر والنصف ظهرًا، خرج من منزله بعد أن وضع بعض اللقيمات من الجبن في فمه رأسًا من داخل الثلاجة ، مُتجهًا إلى متحف دار الكتب ، حيث ينتظره عملٌ شاقٌ، ومثيرٌ.

******

لهث الاستاذ «محمد العزازي» وهو يسرع الخطى نحو بوابة الأمن التي تتواجد على مدخل متحف دار الكتب، حيث ينتظره «حلو» حسبما ابلغه رجال الأمن

كان الأستاذ «محمد العزازي» رجلاً في بدايات العقد السادس من العمر،

طويل القامة رفيع الجسد، تبدو على ملامحه علامات النشاط والكدّ والعمل، حليق الذقن، أشيب الرأس، ورغم الوصف الذي يبدو في مجمله دالاً على المشيب إلا أنّ الرجل كان شعلةَ نشاطٍ وحيويةٍ وتطلُّ مِن نظرات عينيه علامات الذكاء والتركيز.

استقبل «حلو» بترحابٍ وبشاشةٍ، واقتاده إلى داخل المتحف حيث أشارت عقارب الساعة إلى الثانية والنصف عصرًا، وهو يسأله:

- قالولي إنّ اسم الكريم حلو، وقعدت فترة طويلة عقبال ما استوعبت، يا ترى الاسم بالكامل ايه؟؟؟

- ضروري يعني يا أستاذ محمد؟؟؟

ابتسم الأستاذ «محمد» وهو يتوقَّف في منتصف الطريق ويلتفت إلى «حلو» متسائلاً:

- هو ايه اللي ضروري يا ابني؟ هو سر لا سمح الله؟؟ انا جايالي التعليمات إن الأستاذ حلو جي في مأمورية معينة، ومحدش يعرف عنها حاجة، حتى زي ما شفت ، لا سجلنا اسمك في كشوف الأمن ولا حاجة، إنما أنا ما اتعودتش غير إني آخد احتياطي دايمًا وأعرف بتعامل مع مين، المواضيع دي مهمة

جدًا بالنسبة لي، دي آثار بلد يا ابني مش لعبة.

ابتسم «حلو» بتفهُّمٍ وهو ينظر إلى الأستاذ محمد قائلاً:

- الله ينور عليك يا أستاذ محمد، أنا بس اسمي عاملي مشكلة من زمان ومش عاوز اشغلك بيها.

نظر إليه الأستاذ «محمد» وهو يقول:

- مشكلة؟؟ في اسمك؟؟ خير يا ابني؟؟ هو اسمك عيب؟؟!!

- لا، اسمي جميل.

- طيب طالما جميل، ما تقول عليه.

ابتسم «حلو» مداعبًا وقد اعتاد مثل هذا الارتباك الذي يسببه لكلٍّ مَن يسأل عن اسمه:

- ما أنا بقول جميل اهو.

- ايوة يا ابني، خلاص عرفت إنه جميل، إن شاء الله يطلع جميل، اسمك بقى حلو إيه؟؟؟

- جميل يا أستاذ محمد.

بدأ وجه الأستاذ «محمد» بالتغيُّر، وظهرت عليه بوادر الانزعاج، مما دفع «حلو» إلى الإسراع في حلّ الموضوع قبل أن يتفاقم مع الشيخ الكبير، أسرع يستخرج البطاقة من محفظته، ويناولها للأستاذ محمد الذي نظر إليها برهةً، ثم انفجر ضاحكًا حتى كادت شرايينه تنفجر، استند إلى كتف «حلو» وهو ما زال يقهقه، إلى أن ختم ضحكاته التي استمرت قرابة دقيقتين بفقرةٍ من السعال المتواصل، بينما «حلو» يبتسم وهو ينظر إلى سقف المتحف غير مُبالٍ وقد اعتاد على مثل هذه الأمور منذ أنْ وُلد.

وأخيرًا تماسك الأستاذ «محمد» وهو ينظر إلى «حلو» ويده ما زالت تحتلُّ نفس الموضع على كتفه قائلاً:

- تصدق بالله، أنا مضحكتش كدة من زمان يا ابني، ومن أول دلوقتي، انا مش «الأستاذ» محمد، انا اسمي الحج عزازي زي ما كل القريبين بيقولولي.

ابتسم «حلو» وهو ينظر إلى الحج «عزازي» الذي ظهرت في نظراته تطلعات أبوية، بينما واصلا السير إلى حيث مكتب الحج «عزازي» ، حيث جلسا ليتبادلا أطراف الحديث حول تاريخ المكان، وتواجد الحج «عزازي» منذ أكثر من أربعين عامًا في خدمة هذا الصرح، مرورًا بكثير من المواقف والبطولات

والذكريات التي تملأ أرجاء المكان.

كان «حلو» مستمعًا جيدًا، لم يشعر أيٌّ منهما بمرور الوقت، إلى أنْ نظر الحج «عزازي» في ساعته وقال:

- ياااه! الساعة بقت خمسة ونص، الوقت سرقنا، كدة مفيش حد في المتحف من الموظفين خالص، مفيش غيرنا، إنت عارف المتحف مقفول للزوار والموظفين اللى هنا كل شغلهم اكاديمي للتوثيق مش أكتر.

أومأ «حلو» برأسه مؤكدًا قائلاً:

- آه طبعًا عارف ، أنا شخصيًا ياما خلصت شغل هنا فى المتحف بس الغريبة يا حج عزازي اني ما شفتكش ولا مرة.

ابتسم الحج عزازي وهو يجيب:

- أصل أنا يا ابني شغلي مالوش علاقة بالمعروضات اللي بتشوفها وتتفرج عليا الزوار، أنا شغلي من أول آخر الطرقة هنا، وأنت نازل.

انقعد حاجبا «حلو» بعدم تفهُّمٍ لمعنى الكلمة الأخيرة في حديث الرجل، مما دفع الحج «عزازي» إلى الاستطراد:

- أقصد يعني إن شغلي في الأجزاء بتاعة البدروم اللي فيه المخزن الأثري للمخطوطات والبرديات اللي تحت المتحف.

نظر إليه «حلو» وهو يقول:

- تصدَّق يا حج عزازي، أنا طول عمري نفسي أشوف المخازن الأثرية دي، حتى نفسي اتعرف على شكلها، وسبحان الله، على الرغم من إن عندنا في المبنى الجديد غُرف ومخازن كتيرة قوي لحفظ المخطوطات الأثرية، الا إني طول عمري كان نفسي اشوف المكان التاريخي ده نفسه بعيني.

ابتسم الحج «عزازي» وهو ينظر إلى «حلو» قائلاً:

- اللي يُصبر يُنول يا ابني، وواضح إن ربنا راضي عنك لأن في ناس بتقضي عمرها الوظيفي كله تتمنى تدخل المخازن دي وما بتعرفش، ده في وزراء دخلوا الوزارة وما عرفوش يدخلوها.

تبسَّم «حلو» مستمتعًا بالحديث ، في الوقت الذي نهض فيه الحج «محمد» واقفًا ببطءٍ وعلى وجهه آثار ألمٍ بسيطٍ ناتجٍ مِن تيبُّس مفاصله من طول فترة جلوسهما، وهويقول:

- بص بقى، إحنا حنعمل كوبايتين شاي خمسينة، نخلصهم، وننزل على المخزن تشوف اللي وراك، وحاعملك كوباية شاي بقى، إنما إيه، أراهنك إن مراتك نفسها ما تعرفش تعمل زيها.

قفزت صورة «سعادة» إلى رأس «حلو» فور انتهاء كلمات الحج «محمد»، فتغيرت ملامح وجهه إلى الإقتضاب، شعر بالحنين إليها، مع شعور آخر بالسعادة أنه سوف يتوجه لها فور انتهائه من عمله الليلة، ساعتين عمل فقط تفصله عن التوجه لها.

ولكنه لم يعلم أو يتخيل للحظةٍ، أنه في طريقه إلى أنْ يواجه ما لم يكن يتوقعه،

ما لم يكن يتوقعه أبدًا.

*****

جلست «سعادة» على الأريكة العتيقة في منزل والدتها، تلك الأريكة التي تحمل ذكريات شبابها وخطبتها وزيارة «حلو» لها قبل الزواج، وعادت بعقلها وروحها إلى الماضي:

- حلو، يااا حِلووو.

- حبيبة قلب حلو، زغازيع جنب حلو اللي مخلياه على طول بيضحك زي العبيط في كل حتة، أموت أنا بقى.

ضحكت «سعادة» ضحكةً جذلةً، ثم سألته:

- ها؟ إيه رأيك بقى في أكل ماما؟

- يععععع

- حلوما تهرجش!!

- أنا ما عجبنيش منه غير السلطة اللي انت عاملاها، أنا كلته بس عشان أجاملك، وعشان برضه أمك ما تخليش يومنا أزرق منقط كحلي في كاروهات بُني.

ضحكت «سعادة» مرةً أخرى ثم قالت:

- يا رب تسمعك وتيجي تتطلع عينيك، أخص عليك يا حلو، ده حتى أكل ماما جميل.

- جميل؟! زي ابويا كدة؟!

انفجرت «سعادة» ضاحكةً وهي تمدُّ يدها إلى «حلو» بكوب الشاي الساخن

ولم تتمالك نفسها بعد أن استمعت إلى جملته الأخيرة فأنسكب الكوب بالكامل على قدميه فأطلق صرخةَ ألمٍ ووقف يتقافز كالفأر الذي ضربته صاعقةٌ وهو يقول:

- احيييييييه، أمك غالية الشاي عشان تغليني، عاوزة تضيع مستقبلي، اااااااااه، مش قاااادر، شوفولي تلج، تلللللج، التسلخات حتبهدلللني.

بينما ضحكات «سعادة» تتعالى حتى كادت تفقدها وعيها.

عادت «سعادة» مرةً أخرى إلى واقعها وهي لا تزال تجلس على ذات الأريكة، وجدت ابتسامة الماضي لا تزال عالقةً على شفتيها، فعادت لتتذكر موقفًا آخر على ذات الأريكة بعد كتب الكتاب وقبل الزفاف:

- بقولك إيه يا سعادة؟

- نعم يا حلو؟

- ما تجيبي بوسة.

احمر وجه «سعادة» خجلاً و هي تتراجع في الأريكة قائلةً:

- حلو، ما تستهبلش.

- شوفي، أنا مش حمشي من هنا انهاردة غير لما أخد بوسة، أنا معايا ورقة تثبت أحقيتي في الموضوع ده.

- يا نهاري، حلو!! ما تستهبلش، كلها أسبوعين على الفرح، ماما لو سمعتني بضحك كدة حتيجي تخرب بيتي.

قفز «حلو» من كرسيه ليحتلَّ موضعًا قريبًا من «سعادة» على الأريكة قائلاً:

- حتجيبي بوسة بالذوق؟ والا نلجأ للعنف؟ أمك في المطبخ بتغسل المواعين، دي فرصتنا الأخيرة، هاتي بوسة قبل ما تهجم علينا بسلكة المواعين.

ضحكت «سعادة» وهي تحاول كتمان ضحكاتها بيدها، ويدها الأخرى تدفع «حلو» للابتعاد عنها وهو لا يزال يحاول مُصرًا على ما قال، وعلت ضحكتها أكثر وأكثر بينما ابتسامته تزداد اتساعًا على ضحكاتها التي تسعد قلبه.

أخذت ذكريات «سعادة» تمرُّ الواحدة تلو الأخرى، إلى أن قطعها شعورها بدفء الدموع المنسالة على وجنتيها، دموع تسيل بصمتٍ، مما زادها حزنًا.

تذكرت «حلو» وتألمت بشدةٍ، كيف له أن يتركها ترحل وتترك المنزل، كيف يمر يومٌ كاملٌ دون أن يعيرها أيَّ اهتمامٍ! إلى هذه الدرجة انتهى الحب من حياتهما؟!!

إلى هذه الدرجة فترت مشاعره تجاهها؟؟؟

لمَ؟؟

هل أهملت في نفسها إلى أن وصل إلى هذه الحالة؟؟!

أم أنه بكل تأكيد موضوع الخلفة، بالتأكيد هو ذلك الموضوع.

ماذا تفعل؟؟؟ ماذا تملك في هذا الموضوع؟؟؟

لا شيء،

يبدو أنها قد كتب عليها أن تعيش بألمٍ وحزنٍ على غير ما طمحت وتخيلت في بدايات زواجها بحبيبها «حلو»، يبدو أن القدر دائمًا يحمل ما لا تشتهيه السفن للمحبين.

يبدو أنَّ حكايتها سوف تكون تلك الحكاية المكررة للسواد الأعظم من السيدات المتزوجات واللاتي انتهى بهن المطاف إلى ذات الجلسة، وذات الدموع المنهمرة.

قطع دموعها وحبل افكارها المتواصل دخول والدتها إلى غرفة المعيشة حيث تجلس هي وحيدة، وبخطواتٍ متثاقلةٍ، اقتربت الأم قائلةً:

- انتي لسة بتعيطي؟؟ جتك خيبة!! إيش حال ان ما كان اراجوز وهايف، يا ما قلتلك، دا مش حينفعك وانتي راكبة راسك، العرسان كانت بتتحدف تحت رجليكي وانتي ماسكة في زعزوعة القصب دي، وكمان قاعدة بتعيطي؟؟! يا خيبتك القوية، محدش جابلنا الخيبة دي غيرك انتي وابوكي، جاتكم وكسة انتم الاتنين.

مسحت «سعادة» دموعها براحتها من فوق وجنتيها وقالت لوالدتها بلهجةٍ حادةٍ:

- ماما، انا مش ناقصة، ارحميني وسيبيني لوحدي، هما يومين تلاتة بالكتير وحارجع البيت.

كانت أمها في طريقها للجلوس على أحد الكراسي ولكن كلمات «سعادة» جعلتها تقفز كالممسوسة صارخةً:

- يوميييين وترجعي؟؟؟ ترجعي من نفسك؟؟؟ يا ختاااااااااااااي، أصوّت والمّ عليا الناس؟؟؟ إنتي عاوزة ترخصي نفسك وترخصينا أكتر من كدة؟؟؟ مش حتتحركي من هنا غير أما اشوفه، أشوفه وأقفشه بإيديا دول، فُرقع لوز ده، البليااااتشووووووو، وأطبق في زمارة رقابته وأطلع أحباله الصوتيه في

إيدي.

وبدت على وجه أمها وعينيها علاماتٌ شيطانيةٌ تُنذِرُ بأنها في طور التحول لشيطانٍ مريدٍ، إلا أنّ «سعادة» قاطعتها في أثناء استمتاعها بتخيلات تمزيق «حلو» إربًا قائلةً:

- ماما!!! أنا قلتلك، ما تتدخليش في حياتي مع حلو، إحنا بنحل مشاكلنا سوى من زمان، الحكاية كلها زي ما قلتلك مليون مرة، أنا اعصابي تعبانة ومحتاجة أغير جو عشان قاعدة في البيت بقالي كتير، هما يومين، حتستحمليني والا اروح عند خالتي؟؟!

أشاحت أمها بيدها بغضبٍ وهي تتوجه نحو الكرسي وتجلس ببُطءِ العجائز ولسانها يهمهم بكلماتٍ غير مفهومةٍ تحمل في نبرتها سبابًا ووعيدًا للمخلوق الأكثر استفزازًا في حياتها الآن، «حلو»

شعرت «سعادة» بالارتياح جزئيًا مع سكون أمها، إلا أنها في قرارة نفسها كانت تعلم أن أمها لن تجعل الأمر يمرُّ مرور الكرام، وأنها ستنتهز أول فرصةٍ لتُحيل الأمر إلى بؤرةٍ مِن بؤر الجحيم.

لم تأخذ تلك الأفكار من «سعادة» سوى لحظاتٍ قليلةٍ، ثم ما لبثت أن عاودت

مرةً أخرى الدخول في عالم الخيال والذكريات؛

الذكريات التي حملت لها في الماضي كلّ شعور «حلو»

وكلّ لحظات «سعادة»

*****

٤

انتهى «حلو» والحج «عزازي» من ارتشاف آخر رشفةٍ من كوب الشاي الساخن الذي أعده الحج «عزازي» بنفسه، تبادلا أثناء الانتهاء مِنه، الحديث حول الوثائق والمخطوطات والبرديات الأثرية التي عملا خلال سنوات حياتهما الوظيفية على توثيقها وحفظها رغم اختلاف السنِّ وسنوات العمل.

شرح «حلو» للحج «عزازي» ما وصلت إليه التكنولوجيا الحديثة في هذا المجال، وكيف ساعدت على الارتقاء والاهتمام بهذا الكمِّ الذي يفوق الملايين مِن الوثائق مختلفة الحجم والخامة والزمن.

بينما حدَّثه الحج «عزازي» عن مدى تأثُّره واهتمامه بالوثائق بشكلٍ شخصيٍّ وشعوره وهي بين يديه حاملاً أثرًا تاريخيًا عظيمًا، يُشعِرُه بمدى وجوب

حفاظه عليها مِن أجل نقل التاريخ إلى المستقبل، تاريخ مصر والعالم أجمع.

تحرَّكا سويًا خروجًا مِن مكتب الحج «عزازي»، متَّجهيْن إلى حيث سيبدأ «حلو» عمله، خلال أروقة المتحف، إلى أن وصلا إلى المدخل المؤدِّي إلى المخازن القابعة أسفل المتحف.

ذلك المدخل المغلق ببابٍ حديديٍّ، يحمل في جانبه رتاجًا إليكترونيًا رقميًا حديثًا، وهو الأمر الذي شعر معه «حلو» ببعض الحنق، حيث شعر أنه مِن غير اللائق أنْ يتمَّ التعامل مع ذلك المكان الأثري بتلك التكنولوجيا التي لا تناسب طبيعة المكان وعبقه التاريخي، إلا أنه عاد على الفور ليقنع نفسه أنَّ ما تحمله الغرف أسفل المتحف من كنوزٍ تاريخيةٍ يجب الحفاظ عليها بأيِّ ثمنٍ، لا يهمُّ إلا حمايتها والحفاظ عليها.

نقرت أصابع الحج «عزازي» الأرقام بتتابُعٍ بطيءٍ، فأصدر الرتاج صوت صفيرٍ قصيرٍ، وتغيَّرت لون أضوائه من الأحمر إلى الأخضر كمؤشرٍ على صحَّة أرقام التوليفة الإليكترونية، ولم يلبث الحج «عزازي» أن سحب مقبض الباب بهدوءٍ.

كان الباب، يحمل وراءه ظلامًا مُمتدًا، ودرجاتٍ تهبط إلى اللامكان.

أطلَّ «حلو» برأسه بفضولٍ مُحاولاً أنْ يمدَّ بصره علَّه يستطيع تحديد أيِّ شيءٍ

في الأسفل ولكنه فشل.

ابتسم الحج «عزازي» وهو ينظر إلى انفعالات «حلو» قائلاً:

- أصبر على رزقك، ما تستعجلش، حننزل أهو بس استنى عشان أجيب الكشاف معايا لأن مفيش كهربا تحت في المخزن.

تراجع «حلو» مندهشًا وهو ينظر إلى الحج «عزازي» باستنكارٍ متسائلاً:

- مفيش كهربا؟؟؟ ازاي؟؟؟ انا عارف إنّ في كهربا في مخازن المتحف السفلية من زمان!!

ابتسم الحج «عزازي» وهو ينظر إلى «حلو» ، محاولاً إضافة أكبر قدرٍ ممكنٍ مِن التشويق إلى كلماته وهو يقول:

- أيوة طبعا في كهربا في المخازن، بس...

انتظر «حلو» ثوانيَ مرَّتْ كالساعات وهو يتطلع إلى الحج «عزازي» الذي تبدو على ملامحه علامات الاستفزاز، قبل أن يقول بلهجةٍ حادَّةٍ:

- بس ايه يا حج عزازي، أحنا حنلعب من سيربح المليون؟؟؟ بس ايه يا حج قرداحي الله يكرمك؟؟؟

ضحك الحج «عزازي» بجذلٍ وهو يستند إلى كتف «حلو»، ثم قال له:

- في كهربا طبعًا، بس، مش في الدور اللي إحنا حننزله.

ضغط الحج «عزازي» على كلماته في الجزء الأخير دليل على الإشارة إلى شيءٍ ما، وهو الأمر الذي فطن اليه «حلو» في لحظةٍ واحدةٍ متسائلاً بذهولٍ:

- ايه ده؟؟؟ الدور اللي حننزله؟؟؟ هو في دور تاني غير دور البدروم اللي فيه الكتب؟؟؟

لم ينطق الحج «عزازي» وهو ينظر إلى «حلو» نظرة تشويقٍ وإثارةٍ كبيرتين، كانت عيناه تلمعان سعادةً لرؤيته تلك الانفعالات على وجه «حلو» الذي فغر فاه بذهولٍ، وزاغت عيناه في محجريهما، وتسارعت أنفاسه من هول الإثارة، فأسرع في السؤال:

- يا حج عزازي، في كام واحد يعرفوا أن في دور تاني تحت البدروم؟؟

تطلع إليه الحج «عزازي» بذات النظرة الجذلة، وهو يشير اليه بأصابع كفه قائلاً:

- أقل من صوابع الإيد الواحدة، وانت بقيت منهم.

تسارعت ضربات قلب «حلو» بعنفٍ، وتدفَّق الأدرينالين إلى عروقه غزيرًا ، فشعر بنشاطٍ مفاجئٍ ، دفعه إلى القول بسرعةٍ:

- طب ياللا يا حج عزازي، الله يكرمك، ياللا بينا، عاوز أنزل، مش قادر ، مش قادر أستنى.

ضحك الحج «عزازي» وسعل قليلاً على سبيل الروتين، ثم نظر إلى حلو قائلاً بنشاطٍ مرحٍ:

- ياللا بينا يا عم، خطّي برجلك اليمين وسميّ الله.

ابتسم «حلو» بفرحة طفلٍ صغيرٍ، وتحرَّك خلف الحج «عزازي» متخذًا الدرج نزولاً وهو يقول:

- وأدي رجلنا اليمين، وبسم الله.

وبدأت أولى ليالي المأمورية المُثيرة.

*****

جلست «سعادة» في غرفتها القديمة التي شبّتْ فيها والوجوم يحيط بملامحها حيث أظلمت أرجاء الغرفة إلا من ضوء الأباجورة الملاصِقة لفراشها،

في الوقت الذي دخل إلى غرفتها والدها ذلك الرجل الكهل الأشيب، بعد أنْ طرق الباب بهدوءٍ واقترب من سريرها الذي جلست فوقه مستندةً إلى ظهره وهي تضمُّ ركبتيها إليها وتحتضنهما وإلى جوارها فوق مكتبها القديم ذلك المنبه القديم الذي أشارت عقاربه إلى السابعة مساءً، حتى جلس إلى جوارها وابتسم قائلاً:

- حبيبة بابا حتفضل قاعدة لوحدها هنا كتير؟، مش حتيجي تقعدي معانا شوية برة بقى؟؟

- لا يا بابا، معلش، كنت محتاجة اقعد لوحدي شوية.

- امممم، بتهربي من أمك طبعًا ولسانها اللى عامل زي المبرد، عشان تعرفي بس اني ضحيت بنفسي من زمان وقاعد معاها لوحدي بعد ما اتجوزتي انت، تعالي اقعدي معانا عشان خلاص وداني حتنشف و تقع زي ورق الشجر من زنّها.

ابتسمت «سعادة» لمداعبة أبيها، ولكنها لم تنطق مما جعله يكمل كلماته:

- يا بنتي، دي أول مرة تباتي برة البيت من غير جوزك، حلو انسان طيب ومحترم، واكيد لو في اي مشاكل بينكم لازم تتحل بالمناقشة والكلام.

- يا بابا احنا لا بنتناقش ولا بنتكلم، احنا عايشين زي اللي مش عايشين، كل واحد عايش مع نفسه تحت سقف بيت واحد.

- غلط يا سعادة، الست الشاطرة هي اللي تتكلم مع جوزها وتعرف تعرض المشكلة، والراجل الشاطر هو اللي يسمع ويطلع دايمًا من كل المشاكل كسبان مراته، مش خسران مراته.

ترقرقت الدموع في عيني «سعادة»، وقالت:

- انا حاسة يا بابا انه خلاص ما بقاش يحبني، حاسة انه كل يوم بيبعد عني فيه أكتر من اللي قبله ومش عارفة أعمل ايه.

ابتسم الأب ابتسامةً حانيةً، وهو يقول:

- يا بنتي، كل البيوت بيعدي عليها الأوقات دي، كل علاقة بيجي وقت ويمر بيها شعور رهيب بالفتور، وعدم الاهتمام، ودايمًا العلاج ما بيكونش بالسكوت، إنما دايمًا بالكلام والمناقشة والتواصل، دا انتي متعلمة وعارفة، مش كدة؟

- مش قادرة يا بابا، حاسة اني عاملة عملة، ومش قادرة اتكلم، من ساعة موضوع الخلفة ده وأنا ما بنطقش، ومش قادرة أنطق.

- لا إله إلا الله !! ليه يا بنتي كدة؟؟؟ هو انتي عاقر لا قدر الله؟؟ ده كل الدكاترة قالوا لكم إن مفيش أي موانع للحمل وإن ده موضوع بتاع ربنا فقط، ليه حتحملوا روحكم أكتر مما تحتملوا يا بنتي؟!!

سالت الدموع دافئةً على وجنتيها وهي تقول:

- أعمل إيه يا بابا، قولي، انصحني، أعمل إيه؟

ربّت الأب على كتفها بحنانٍ، وهو يتبسّم قائلاً:

- انتي بتحبي حلو؟؟

اومأت «سعادة» برأسها إيجابًا، فأكمل الأب:

- يبقى بكرة الصبح تاخدي شنطتك، وترجعي بيتك يا سعادة، و أنا حتصدّر لأمك بنفسي، يعني هي موتة و الا أكتر؟!

نظرت له «سعادة» نظرة تردُّدٍ وكبرياءٍ دون أنْ تنطق، مما جعله يُعقِّب:

- يا بنتي العند ما بيجبش إلا العند، وأنا لو مش عارف حلو كويس قوي أكنه ابني ومربيه، مكنتش قولتلك روّحي، روّحي يا سعادة، واتكلموا يا بنتي بهدوء، واتناقشوا، فضفضوا لبعض، واتفقوا، وغيروا حياتكم، الموضوع زي المذاكرة في المرحلة دي، ومحتاج تركيز، عشان تعدوا في الامتحان وتنجحوا.

نظرت إليه «سعادة» بشرودٍ وهي تحاول أن تستوعب كلماته، وتحاول أن تقنع نفسها بصحَّتها أمام كبريائها كامرأةٍ، وتفهَّم الأب ما يجول في خاطرها من صراعٍ، فضمَّها إليه وأسند رأسها على كتفه مربتًا على ظهرها بحنانٍ وهو يقول:

- بكرة تفتكري الأيام دي يا بنتي، وتفتكري إنك اتصرفتي صح، وانتي قاعدة وسط ولادك وعاملين دوشة، وجنبك جوزك حلو اللي بيحبك وبتحبيه، والا نسيتي يا سعادة؟؟ نسيتي كنتي بتقوليلي عليه إيه أيام الجامعة يا بنتي؟!!

صمتت «سعادة» وهي تستعيد ذكرياتها مع «حلو»، وذكريات حديثها مع أبيها عنه، وسعادته بها وبأنها قد أصبحت فتاةً راشدةً تشعر بالحب، وتصارح أباها، تذكرت نصائحه لها، وما ترتب عليها من قربها من «حلو»، تذكرت كلَّ هذا وهي تتخذ في قرارة نفسها قرارًا هامًا.

سوف تعود إلى المنزل في الصباح الباكر.

*****

كان الدرج مظلمًا

خاصةً مع دخول الوقت إلى ما بعد وقت العشاء، ولكنَّ المصباح الذي حمله الحج «عزازي» أمَّن رؤيةً مناسبةً لكليهما أثناء النزول، حتى وصلا إلى الطابق السُفليّ «البدروم».

جال «حلو» ببصره في ذلك المكان بهدوءٍ، وظلَّ يتطلَّع إلى تلك الأحجار المكوِّنة لجدران المبنى العتيق، تلك الأحجار كبيرة الحجم التي مرَّ عليها مِن الزمن ما يتعدى المائة عام ويزيد.

امتدَّتْ يد الحج «عزازي» لتضيء قابس الكهرباء، فأُضيئت بعض المصابيح ذات الإضاءة الخافتة والمُعلَّقة في جوانب السقف، وبدأت ملامح المكان تتضح شيئًا فشيئًا ، كان البهو الذي انتهى إليه الدرج متسعًا، ليس له سوى ذلك المخرج الذي دلف كلٌّ منهما من خلاله بالإضافة إلى ذلك الممر الطويل المظلم المقابل للدرج، والذي يحتوي على غرفٍ متقابلةٍ على جانبيه، بالكاد تتضح ملامح نهايته من خفوت الإضاءة.

تقدَّم الحج «عزازي» إلى الممر، يلاحقه «حلو» بلهفةٍ، والإثارةُ قد بلغت منه مبلغها فهو يسير الآن في قلب الممر الذي طالما تحدث عنه الكثيرون في

أروقة الإدارة، وتفاخر القليلون جدًا بأنهم ممن هبطوا إليه مرةً في حياتهم.

عبرا سويًا خلال الممر الطويل والأبواب الخشبية العتيقة على اليمين واليسار، أبواب مُغلقة مُصْمتة مقتضبة الشكل واللون، وكأنها تنظر إليهم تحذِّرهم من الاقتراب منها، تحمي وتحمل وراءها مِن المخطوطات والكنوز ما يجعل مصر تتربع على قمة العالم في اقتناء الأثار بلا منازع طوال التاريخ القديم والحديث، كان كلٌّ منهما يعلم هذا جيدًا.

وصلا إلى إحدى الغرف، وتوقَّف الحج «عزازي» أمامها، وبدوره توقف «حلو»، ونظر الحج «عزازي» إلى «حلو» في محاول منه لإضفاء مزيدٍ مِن التشويق وهو يبتسم ويقول:

- ها؟؟ جاهز؟؟

ابتسم «حلو» محاولاً التماسك وهو يجاهد لإضفاء القدر الأكبر من الهدوء على كلماته وهو يقول بسخريةٍ:

- جاهز طبعًا يا حج «عزازي»، أحنا حنطلع هوا خلاص؟؟ جاهز إن شاء الله، ذيع.

ولكنَّ نبرة كلماته خرجت مهزوزةً رغمًا عنه أخفتْ طابع السخرية في كلماته،

مما جعل الحج «عزازي» يبتسم ابتسامة أبوةٍ وهو يفتح مزلاج الباب ويدفعه إلى الداخل، ويخطو بداخلها ومن ورائه «حلو».

كانت الغرفة خاليةً تمامًا، مما أثار دهشة «حلو»، لا تحتوي على أيِّ شيء، لا وجود لأيِّ وثيقةٍ أو مخطوطةٍ أو بُرديةٍ واحدةٍ، لم تكنْ سوى غرفةٍ كبيرةٍ خاويةٍ ليس أكثر، لم يَدُم اندهاش «حلو» على حال الغرفة كثيرًا حيث طغى عليه اندهاشٌ أكبر وأكثر تأثيرًا وصل إلى حدِّ الذهول التامِّ حين توجَّه الحج «عزازي» إلى أحد الجدران الحجرية، وتوقف أمامها قليلاً يتأملها، ثم لم يلبث أن امتدت يده وقام بدفع أحد الأحجار المكوِّنة لذلك الجدار بيده بقوةٍ إلى الداخل، فتحركت استجابةً للدفع مُصدرةً صوتًا مكتومًا ، بدأ معها الحائط ذاته في الانقسام والتباعُد إلى جانبيْ الغرفة ببطءٍ شديدٍ مُحدثًا صريرًا مُدويًا، لم يكن أكثر دويًا من صوت شهيق «حلو» والتأثر الذي ظهر على ملامحه في تلك اللحظة، إلى أن توقف جانبا الحائط عن التباعد، ليكشفا عن درجٍ آخر لا تظهر نهايته من شدة الظلام، درجٍ يقود إلى حيث لا يعلم عن هذا المكان سوى القليلين في مصر والعالم أجمعه.

*****

لحظاتٌ مِن السكون مرَّت على الغرفة التي انشقَّ جدارها منذ لحظاتٍ.

صمتٌ تامٌّ خيَّم على المكان وسط ذهول «حلو» الذي فغر فاه وكادت عيناه تقفز من محجريهما وهو يُحدِّق في الفراغ الذي خلَّفه الجدار وتظهر على بداياته درجاتٌ هابطةٌ، لم يقطع الصمت إلا التفاتة الحج «عزازي» ليتطلع إلى وجه «حلو» ويراقب تعبيرات الذهول على قسماته، ويبتسم قائلاً:

- إيه رأيك؟!

انتفض «حلو» وهو ينظر إلى الحج «عزازي» الذي أخرجه بسؤاله من حالة السبات العميق التي كان عليها، وأجاب بسرعةٍ:

- انت بتسألني يا حج أكنك بتاخد رأيي في طعم الملوخية اللي عاملاها مراتك!!!

انفجر الحج «عزازي» ضاحكًا لثوانٍ أعقبها كالعادة ببعض السعال، ثم قال:

- الله يجازي شيطانك، أنا قصدي إيه رأيك في اللي شفته لحد دلوقتي يا حلو.

هز «حلو» رأسه مرةً أخرى قائلاً:

- برضو يا حج عزازي السؤال ده يتسأل لواحد بيتابع طريقة عمل شاورما

سوري من غير استخدام لحمة على قناة فتافيت!!! رأيي في ايه؟؟ أنا مش مستوعب إيه ده، ولا مصدق، أنا أكيد بحلم، أكيد ده حلم، دي حاجة زي الأفلام الأجنبي.

ابتسم الحج «عزازي»، وهو يشير إلى «حلو» بالاقتراب قائلاً:

- أفلام أجنبي مين يا عم وبتاع مين؟!! تعال ننزل عشان تشوف اللي حتى مستحيل يتخيلوه في الأفلام الأجنبي، تعال يالا بينا.

تقدَّم «حلو» ببطءٍ من الجدار المنقسم في خطواتٍ حذرةٍ، بينما سبقه الحج «عزازي» إلى الدرج الهابط نزولاً، وعلى الفور لحق به «حلو».

كان الدرج مختلفًا هذه المرة، كان حجم الدرج كبيرًا، وكانت النقوش والحروف العربية العثمانية تُزين جدران الدرج، كان يراها بالكاد نتيجة الضوء الصادر من المصباح الذي يحمله الحج «عزازي».

كانت المسافة هذه المرة أطول من سابقتها في الدرج المؤدي إلى الطابق السفلي، كانت تبدو هذه المسافة أكثر من ضعف سابقتها، حتى أن «حلو» بدأ يشعر بالقلق، ولكن قلقه لم يدم طويلاً، حيث انتهت بهم الدرجات إلى نهاية الطريق.

باب غرفةٍ خشبيٍّ كبيرٍ يحمل نقوشًا وكتاباتٍ متداخلةً، حاول «حلو» أنْ ينظر إليها عبر الضوء المنبعث من المصباح اليدويّ، وتسمَّر ذهولاً؛ كانت النقوش والكتابات متداخلةً بحرفيةٍ وفنٍّ عظيمين، ولم تكن تلك هي سبب دهشة «حلو» فقط، بل كان سبب دهشته الأساسي يكمن في أنّ تلك الكتابات كانت خليطًا ممتزجًا من حروفٍ عربيةٍ ولاتينيةٍ ونقوشٍ فرعونيةٍ، كانت لوحةً متكاملة الإبداع من عددٍ كبيرٍ من الحروف التاريخية، كانت تبدو وكأنها لغةٌ ما، جملٌ معينةٌ، كلماتٌ منسقةٌ منتقاةٌ بعنايةٍ، ولكنه لم يكن يفهم معناها.

قطع تركيزه في النقوش يد الحج «عزازي» التي أدارت مزلاج الباب الخشبي العملاق، ودفعته برفقٍ، تحرَّك معها الباب مستجيبًا محدثًا صريرًا معدنيًا قويًا تردد صداه عدة مراتٍ في ذلك المهبط حتى أن «حلو» شعر بالخوف للحظاتٍ من الصوت الذي يعود من ورائه مرارًا وتكرارًا.

كانت الغرفة مظلمةً تمامًا، دلف إليها الحج «عزازي» الذي بدأ جبينه يندى بقطرات عرقٍ نتيجة المجهود الذي بذله في النزول إلى هذا المكان، تحرك في ضوء المصباح الخافت، ليضغط زرًا على قاعدةٍ خشبيةٍ تمَّ تعليقها على الجدار، يبدو أنه قد أُعدَّ حديثًا داخل الغرفة، يتصل بمجموعة أسلاكٍ خفيفةٍ

تزحف فوق الجدار وتتغلغل وتغيب في الأجزاء التي لا تظهر في الغرفة من شدة الظلام.

وفور أنْ ضغط القابس حتى أضاءت الغرفة بشكلٍ متتابعٍ، جعل الرؤية تتضح شيئًا فشيئًا، حينها، حينها فقط، كانت دهشة «حلو» تعدُّ الأكبر في حياته، كان الذهول يملأ ملامحه وكيانه كما لم يملأهما من قبل.

كانت مساحة الغرفة كبيرةً بشكلٍ لا يُصدَّق، كانت مساحتها تتجاوز مساحة المتحف بالكامل في حد ذاته، كانت ممتدةً بشكلٍ لا يُصدَّق، ولم يكن هذا هو السبب الوحيد لحالة الذهول التي أصابت «حلو»، بل إنّ تلك الحالة قد أصابته من عدد الكتب والمخطوطات والوثائق التي رآها، إنها المرة الأولى في حياته التي يرى فيها هذا الكم من تلك المخطوطات والبرديات والكتب باختلاف أحجامها وأشكالها مجتمعةً في مكانٍ واحدٍ.

تحرّك «حلو» بلا شعورٍ، وتوجّه نحو مجموعةٍ من المخطوطات المُلقاة على الأرض بلامبالاةٍ، اقترب منها بهدوءٍ، انحنى ببطءٍ مستندًا على ركبتيه، أمسكها وحملها بحذرٍ شديدٍ، وأزاح تلك الأتربة التي تغطّيها عبر النفخ فوق المخطوطة بهدوءٍ، حتى بدأت ملامحها تتضح؛ إحدى وثائق العصر الروماني

في مصر قبل ميلاد المسيح عليه السلام.

ترقرقت عينا «حلو» بالدموع وهو يحمل بين يديه مخطوطةً يعود تاريخها إلى أكثر من ألفي عامٍ، فأعاد وضعها بحرصٍ شديدٍ، ثم وقف مرةً أخرى.

استدار ليطالع وجه الحج «عزازي» الذي يراقبه بصمتٍ، وعلى شفتيه ابتسامة إعجابٍ، أعقبها بسؤال «حلو»:

- شفت يا حلو احنا عندنا ايه؟؟؟

- شفت يا حج عزازي، شفت ويا ريتني ما شفت، انا مش قادر أمسك نفسي من الانبهار، ده كنز!! كنز بكل ما تحمله الكلمة من معاني، الأوضة دي فيها ما لا يقدر بمال، فيها تاريخ الإنسانية بالكامل يا حج، فيها اللي يملأ خمسين متحف زي متحف دار الكتب، لأ خمسين ايه؟؟ قول مية، قول ألف.

ابتسم الحج «عزازي» بحنانٍ وهو يقول:

- بالراحة يا ابني على نفسك، أنا عارف يا ابني، عارف كل ده، بس خللي بالك، زي ما اتفقنا، احنا محتاجين نتعامل مع الموضوع ده بهدوء شديد وسرية تامة في الوقت الحالي.

هز «حلو» رأسه بنشاطٍ مُتفهمًا، وهو يتلفت حوله قائلاً:

- يا لهوي، يا لهووووي، يااا لهوي، ايه كل ده؟؟؟ أنا مش عارف ابدأ منين والا أعمل ايه؟؟!!!

قهقه الحج «عزازي» كالعادة وسعل أيضًا كالعادة، ثم قال:

- اعمل اللي عاوز تعمله يا عم براحتك، أنا بقى حسيبك تشوف شغلك هنا، وأطلع أقعد في مكتبي، اخلص شوية حاجات على كام مكالمة تليفون أشوف الحاجّة في البيت عاوزة حاجة والا لأ وأطمنها.

نظر إليه «حلو» بدهشةٍ قائلاً:

- حتسيبني لوحدي في جنينة الكتب دي يا حج عزازي؟؟؟ طب افرض حبيت أشرب والا اخش التلاويت، حأعمل ايه؟؟

ضحك الحج «عزازي» ثم قال:

- بص، خلينا نمشي على نظام كويس، أنا كل ساعتين حأنزل اشقّر عليك، واجيبلك كوباية شاي معايا وازازة مية، احنا لسة شاربين شاي، الكوباية الجاية كمان ساعتين شغل، وأهي الساعة داخلة على تمانية مساءً، قصادك شغل

لحد عشرة، وأجيلك، اتفقنا؟؟

- اتفقنا قوي يا راجل يا سُكرة، أنا كنت ناوي اقضي ساعتين شغل، بس الكلام ده قبل ما اشوف ملعب الكتب ده، أنا كنت فاكرها أوضة أربعة في خمسة زي أوضة نومي البيج كدة، مكنتش عارف انها اد المنطقة اللي ساكن فيها كلها على بعض، يا لهوي، يا لهووووي، يااااا لهوي.

ضحك الحج «عزازي» مرةً أخرى، ثم قال:

- طيب أنا حأقفل ورايا مدخل الأوضة من فوق، الحيطة وباب الأوضة العلوية، وحسيب باب الأوضة ده مفتوح، أمان بس مش أكتر.

أومأ «حلو» برأسه بتفهُّمٍ قائلاً:

- براحتك خالص يا حج عزازي، أنا شخصيًا مش حتحرك من هنا غير أمّا ألِفّ شوية أشوف قد كام ألف كتاب ومخطوطة من اللي هنا وهنا وهناك، وهناك كمان ، يا لهوي ، يا لهوووي، يااااا لهوي.

ابتسم الحج «عزازي» وكاد يهمُّ بالانصراف، لولا أن استوقفه «حلو» بسؤالٍ:

- بس قولي يا حج عزازي، أنت نورت المكان كدة ازاي؟؟

شد الحج «عزازي» قامته وبدت علامات الفخر على وجهه وهو يقول:

- بالجهود الذاتية يا حلو، مكانش في كهربا واصلة، وانا جبت شوية أسلاك على كام دواية على كام لمضة موفرة، وبطاريتين عربية نقل، وواحد صديق مهندس كهربا عملي محول، واتصرفت بقى.

ابتسم «حلو» وهو ينظر إلى الحج «عزازي» ثم قال:

- عفريت أنت يا حج، والله عفريت، ده شغل موالد بالصلاة على النبي.

قهقه الحج «عزازي» وحاول ألّا يسعل ولكنه فشل، ثم قال:

- الجيش قالك اتصرف، وأنا اتصرفت، المهم، حسيبك بقى لشغلك، ومعادنا كمان ساعتين، عاوز حاجة دلوقتي يا ابني؟

نظر «حلو» حوله بتشتُّتٍ تامٍّ، وقال للحج «عزازي» دون أن ينظر إليه:

- أنا عاوز حد يقولي ابتدي منين والا منين والا منين، انا حتجنن من الحلاوة، يا لهوي، يا لهوووي، يااااااا لهوي.

ابتسم الحج «عزازي» بسعادةٍ، ثم التفت وهو يتخذ طريقه للصعود قائلاً منبهًا:

- معادنا كمان ساعتين، سلام.

وقف «حلو» دون أن يلتفت، وهو يتطلع إلى مكانٍ بعيدٍ يظهر فيه تلٌّ من الكتب المتراكمة، وقال محدثًا نفسه:

- ايوة، أنا ابتدي من عند الجبل اللي هناك ده، اكيد في بلاوي هناك، يا ترى كتب إيه و الا مخطوطات إيه اللي هناك دي؟ قلبي حيقف، مش مصدق نفسي، دا أنا حبات هنا، مش حتحرك من هنا، مش مروّح، يا لهوي، يا لهووووووي، يااااااا لهوي.

وبدأ في التحرك نحو زاوية الكتب التي حددها، وقلبه يرقص طربًا، وعقله ينبئه أنّ هذه التجربة ستكون الأروع في حياته.

*****

٥

أشارت عقارب الساعة إلى التاسعة والثلث مساءً، بينما جلس الحج «عزازي» فوق مكتبه وهو يُطالع بعض السجلات الأرشيفية باهتمامٍ.

كان الحج «عزازي» بالفعل رجلاً يعشق عمله للغاية، ويقضي وقته بالكامل في محاولة التطوير والاهتمام بالكنوز المُحيطة بالمكان، والمُكدّسة في كلِّ ركنٍ مِن أركان هذا الصرح التاريخيّ العظيم.

لم يقطع انتباهه الشديد إلى السجلات، إلا صوت هاتفه المحمول وهو يرنُّ فجأةً، مما جعله ينتفض مذعورًا مثل كلِّ مرةٍ يرنُّ فيها الهاتف وهو يعمل في هذا المكان وسط الهدوء.

لم يعتدْ أبدًا صوت الهاتف المفاجئ، رغم حمله له لسنواتٍ قليلةٍ، إلا أنه كمعظم كبار السن، كانت تعاملاته مع المحمول محدودةً للغاية، لم يَذُبْ أو ينكسر أبدًا ذلك الجدار الجليدي بينه وبين التكنولوجيا المتطورة، إلا في أضيق الحدود.

استعاد الحج «عزازي» سيطرته على نفسه في لحظاتٍ، ثم التقط الهاتف الذي كان يرنُّ كالمسعور بلا توقُّفٍ، ونظر إلى شاشته بضجرٍ وبغضبٍ وفي رأسه شياطين الدنيا تخبره أنْ يحطِّم هذا الهاتف المزعج اللعين، ليُطالع اسم «أم سلمى»، فيزفر بضجرٍ، ويضغط زرَّ إجابة الاتصال:

- ألو، أيوة يا حاجَّة، أيوة خير؟؟ حكون فين يعني؟؟ في الشغل يا حاجّة.

ثم بدأت قسمات وجهه بالتغيُّر بصورةٍ مفاجئةٍ، وهو ينصت باهتمامٍ ثم يقول بصوتٍ مضطربٍ:

- ليه كدة يا ام سلمى؟؟ مالك؟؟؟ تعبانة حاسة بإيه طيب؟؟ طيب طيب، انا جي حالاً، مسافة السكة.

أنهى الحج «عزازي» الاتصال بسرعةٍ، ونهض مِن مكانه ببطءٍ فرضته عليه آلام الخشونة في مفاصل ركبتيه، ثم أسرع في إغلاق السجل وإعادته إلى مكانه بنظامٍ خلَّفته سنواتٌ طوالٌ مِن العمل، والتقف هاتفه المحمول ودسَّه في

جيبه، ثم توجَّه نحو الباب بسرعةٍ، أخرج مفاتيح باب المكتب من جيبه، ثم توقف فجأةً وتحدَّث مخاطبًا نفسه:

- يا ربي!! كنت حا أنسى حلو!!! يا ستّار، اعمل ايه دلوقتي؟؟!!

بدأ عقله يفكر للحظاتٍ يشوبها التوتر والتردد الشديدين ثم ما لبث أن اتخذ قراره وهو يغلق الباب بسرعةٍ محدثًا نفسه من جديدٍ بلهجة إقناعٍ:

- هي ساعة واحدة، حاروح اطمن على الحاجّة، واكلم البنات يجوا يشوفها مالها، وارجعله هوا، مش حتأخر إن شاء الله، استر يا رب.

تحرك نحو الباب الأمامي بخطواتٍ مسرعةٍ وهو يُحوقل ويُبسمل ويقرأ بعض الأدعية، وعبر بوابة المتحف الخارجية التي جلس على طرفيْها حراس الأمن، الحراس الذين وصلوا منذ ساعةٍ لاستلام ورديتهم الليلية، فباشروه بسؤالٍ:

- خير يا حج عزازي، مالك؟؟ شكلك في حاجة!

- لا الله يكرمكم، الحاجّة بس بعافية في البيت.

- ألف ألف سلامة عليها يا حج، ربنا يطمنك عليها، مش عاوز أي حاجة طيب؟؟

- ربنا يخليكم يا رجالة، دعواتكم.

ثم انصرف الحج «عزازي» بخطواتٍ مسرعةٍ متبوعًا بدعوات رجال الأمن وعلامات الإجهاد تظهر على وجهه من فرط بذل المجهود في الإسراع نحو منزله بالإضافة إلى توتر أعصابه وشعوره بالقلق البالغ، ليطمئنَّ على شريكة حياته.

شارعٌ، وراء شارعٍ، وراء شارعٍ، وهو يمُدُّ الخُطى نحو المنزل، ورغم برودة الشتاء القارصة، إلا أنّ قطرات العرق بدأت تظهر كحبات لؤلؤٍ تعكس أضواء أعمدة الإنارة على جبينه، وبدأت أبخرة الشتاء تتصاعد من فمه في مثل هذا الوقت من الليل بشكلٍ مُتسارعٍ، دليلاً على أنه يبذل مجهودًا كبيرًا.

كانت الشوارع شبه خاليةٍ، البرودة والشتاء والليل وموسم المدارس، جعل الجميع يقبع في منزله بلا أدنى مخاطرةٍ بالخروج في مثل هذا الطقس، حتى سائقي سيارت الأجرة، خَلَت الشوارع من المارة تقريبًا، إلا مِن بعضهم القليل هنا وهناك.

ومع الخطوات المُتسارعة، والمجهود الكبير الذي لم يَعْتَدْه الحج «عزازي»، بدأت الصور تبهت من حوله، وبدأت الأشكال في التغير أمام عينيه، حاول

أن يُحرِّك يديه إلى رأسه، حتى يزيل ذلك الدوار السخيف، ولكنَّ الدوار ازداد شيئًا فشيئًا بسرعةٍ، حتى تمكَّن من عقله تمامًا في لحظاتٍ قصيرةٍ.

تباطأت خطوات الحج «عزازي»، وتثاقلت حركته فجأةً، لم يَعُدْ يعرف ماذا يحدث، ولكن انتباهه الشديد كان لتلك الأضواء التي بدأت تخفت وتتداخل من حوله، ورأسه التي لم يعد يدري ماذا يحل بها؟!!

امتدت يده تتشبث بالفراغ، وتضرب الهواء محاولةً الوصول إلى أيِّ شيءٍ يمكن الارتكاز عليه، ولكنه فشل وسقط مغشيًا عليه، بلا حراكٍ.

*****

كانت عينا «حلو» تبرُقان كما لم تبرقا مِن قبل، كانت الابتسامة على وجهه تكاد تصل من الأذن إلى الأذن الأخرى، وهو يردد بين الحين والآخر بسعادةٍ جذلةٍ:

- يا لهوي، يا لهووووووي، يااااا لهوي.

كانت يداه تتفحصان بهدوءٍ وعنايةٍ مجموعةً مِن أروع الكنوز فوق كوكب الأرض.

كتبٌ مِن كلِّ مكانٍ فى الدنيا، ما نجا من التتار في بغداد، ما نجا من المحارق في أوروبا في العصور الوسطى، مخطوطاتٌ فرعونيةٌ وقبطيةٌ تعود لأزمانٍ سحيقةٍ، مخطوطاتٌ يونانيةٌ تاريخيةٌ.

كانت أصابعه ترتعد من فرط الإثارة، وهو يُخاطب نفسه بسعادةٍ قائلاً:

- كنز، ده كنز، أكيد ده كنز الملك سليمان، ده أغلى من كل كنوز الأرض، الورقة الواحدة من دول لا تقدر بتمن، أنا لولا خايف على الورق كان جالي تبول لاإرادي من الفرحة.

كان يتنقل بين تلال المخطوطات والكتب كالذي يتنقل بين بساتين الأزهار والفواكه، لم يَعِر الوقت أيَّ انتباهٍ، لم يلتفت إلى أنَّ الساعة قد تجاوزت بالفعل الحادية عشر مساءً، لم يلتفت إلى أنَّ موعده الدوري مع الحج «عزازي» قد مرَّ عليه ساعةٌ كاملةٌ وأنَّ الرجل لم ينزل إليه كما اتفقا سويًا.

ولكن، لم يعد للوقت أيُّ أهميةٍ، ولم يعد للأشخاص أيُّ ذِكْرٍ في هذه اللحظات، ما يحيط به من كنوزٍ جعله يفقد القدرة على تمييز كلِّ الأوقات والوعود والالتزامات، حتى وعده الذي قطعه مع نفسه بالذهاب إلى زوجته «سعادة»، تناساه تمامًا أمام رغبته السعيدة في الارتواء مما يحيط به من

واحات الكنوز المكتوبة والمخطوطة والمرسومة.

واصل «حلو» التنقل لنصف ساعةٍ أخرى، وهو لا يشعر بأيِّ مللٍ أو كدٍّ أو تعبٍ، السعادة تغمره من قمة رأسه إلى أخمص قدميه.

تقدَّم هنا وهناك، حتى وصل إلى مجموعةٍ من الكتب المتراصّة بعنايةٍ، وفوق قمتها، كان ذلك الكتاب المختلف...

كتابٌ مختلفٌ، كبيرٌ للغاية، عدد أوراقه ضخمٌ، ولكنْ، لم يكن ذلك فقط هو ما لفت انتباه «حلو» إلى الكتاب وجذب نظره إليه.

فقد استرعى انتباه «حلو» في تلك اللحظة حالة الكتاب التي كانت أفضل من كلِّ الكتب الموجودة في القبو الكبير، بل إنْ «حلو» قد لاحظ أنَّ حالته تكاد تكون أفضل من الكتب الحديثة الطباعة، وكأنه قد خرج لتوه من المطبعة حديثًا، ولكنْ بشكلٍ قديمٍ عتيقٍ، بعنوانٍ مكتوبٍ بحروفٍ مزركشةٍ تعود إلى عصر الرسم العثماني.

عقد «حلو» حاجبيه، واقترب من الكتاب وهو يقرأ اسمه ببطءٍ، بصوتٍ خرج منه وهو يحادث نفسه:

- حواديت السعادة.

ازداد حاجبا «حلو» انعقادًا، وهو يفكر في هذا الاسم الغريب، الاسم المكتوب باللغة العربية السليمة، الذي توسط غلاف الكتاب وحيدًا، والذي لا يشير إلى محتوى الكتاب على عكس ما هو متعارفٌ عليه في الكتب القديمة وحقبة استخدام هذا النوع من أنواع الخطوط، فقال «حلو» بتساؤلٍ مخاطبًا نفسه:

- إيه يعني مش فاهم؟؟ حواديت السعادة بتاعة إيه يعني؟؟ الواحد متعود يقرأ مثلاً، حواديت السعادة في تنضيف السجادة مثلاً، حواديت السعادة في، في، بشربها سادة، تصدق تمشي، ممكن برضه، حواديت السعادة في كيفية انتقاء العربيات اللادا، حيبقى كتاب كاتبه واحد ميكانيكي يخبل، إنما، حواديت السعادة حاف كدة؟؟!! غريبة، يمكن الكتاب ده بتاع ولاد الحج «عزازي» مثلاً؟!! استنى كدة، حواديت السعادة في الدراسات الاجتماعية للابتدائية، كدة راحت على الأضواء وسلاح التلميذ والمعاصر، بس ايه ده صحيح؟! الحج عزازي!!! يا لهوي!!! الراجل ده راح فين صحيح؟؟؟

نظر «حلو» في ساعته بسرعةٍ فوجدها قد تجاوزت الحادية عشر مساءً ببضع دقائق، ففكر للحظة، ثم ما لبث أن قال محاولاً اقناع نفسه:

- تلاقيه عارف إني ملهي هنا، وقال يسيبني شوية زيادة كمان ألِفّ وأشوف

البلاوي اللي حواليا دي كلها، كلها شوية، وحلاقيه نازل بكوباية الشاي والمية بيعرج زي الكنغر اللي مخبوط في فخاده، اكون أنا شوفت اللي في إيدي ده.

اقترب «حلو» بوجهه أكثر فأكثر من الكتاب وهو يتفحصه بعنايةٍ، وامتدت يداه لتمسك به ببطءٍ، وتَرْفَعَه من مكانه بحرصٍ.

سار به وهو يحمله عدة خطواتٍ للوراء، مسافةً لم تتجاوز المترين وجلس مستندًا بظهره إلى إحدى تلال الكتب المجاورة، امتدت يده بتلقائيةٍ شديدةٍ، تمسح وتزيل غُبارًا لم يكن موجودًا في الأساس فوق جلدة الكتاب ، مما زاده حيرةً ودهشةً.

امتدت أنامله، وفتحت الكتاب بهدوءٍ شديدٍ، ومع فتح الكتاب، انفتحت أبواب الجحيم، بمنتهى العنف.

*****

جلس الطبيب يخطُّ بعض أنواع الأدوية على ورقةٍ، ومن حوله وقف أفراد أسرة الحج «عزازي»، تتوسطهم زوجته الحاجّة «أم سلمى» التي احمرت عيناها وأنفها دليلاً على بكائها منذ لحظاتٍ قليلةٍ، وإلى جانبها وقفت ابنتاها وهما تحيطان كتفها بذراعيهما، ويربتان عليها بحنوٍ، بينما وقف زوجا ابنتي الحج «عزازي» وهما يراقبان الطبيب باهتمامٍ، حتى فرغ من كتابة العديد والعديد من الأدوية، ثم التفت إلى زوج سلمى قائلاً بلهجةٍ آمرةٍ:

- الدواء ده لازم يجي بسرعة.

- حاضر يا دكتور حالاً، حأنزل أجيبه حالاً.

تدخَّلت الحاجّة أم سلمى متوجهةً إلى الطبيب بسؤالٍ واللوعة تظهر في نبراتها:

- طمني يا دكتور والنبي، الحج ماله؟

- بصراحة يا حاجّة الحج تعبان شوية، وعنده الدنيا كلها متلخبطة جامد، الضغط والسكر وحشين قوي، انتوا ازاي سايبينه ده كله يا حاجّة؟!

- والله يا دكتور هواللي تاعبنا، ولا بيسمع كلام حدّ، ولا بيرضى يحافظ على نفسه، ومن صباحية ربنا ينزل يروح الشغل ما يرجعش الا وش الفجر ويا دوب ساعتين تلاتة ويجري جري تاني على الشغل.

- وده كلام برضه يا حاجّة؟؟ الحج كبير في السن، ولازم يخللي باله على صحته، اللي عنده ده شبه انهيار تام في وظايف الجسم، إرهاق شديد جدًا

جدًا، ولازم يتنقل المستشفى، مش أقل من أسبوع ما يتحركش من السرير، وأنا حعدي عليه كل يوم بالليل وأنا راجع من العيادة اطمن عليه بنفسي في المستشفى.

امتقع وجه أم سلمى بعد سماع كلمات الطبيب وقالت:

- مستشفى؟؟ هو تعبان للدرجة دي يا دكتور؟!

ابتسم الطبيب وهو يحاول إضفاء أكبر قدرٍ ممكنٍ من الهدوء على كلماته ونبرته وأسلوبه قائلاً:

- يا حاجّة الحج «عزازي» كبير في السن، ومحتاج رعاية طبية كويسة عشان يقوم زي الفل، ودي أهم حاجة.

ترقرقت الدموع في عيني أم سلمى ثم قالت:

- ربنا يكرمك يا دكتور، احنا أهل وطول عمرك ابن حلال.

- ما تقوليش كدة يا حاجّة، شوفي، أنا مديله حقنة حتخليه نايم فترة كويسة، وأنا حابعت للمستشفى تجهز أوضة وتبعت عربية الإسعاف الليلة دي وننقله في هدوء قبل دوشة النهار.

- ربنا يكرمك يا دكتور، وما يحرمناش منك، أنت لولا اهتمامك ومساعدة ولاد الحلال اللي لحقوه في الشارع وجابوه على هنا من عنوان البطاقة كان الراجل راح مننا.

ثم انخرطت الحاجّة أم سلمى في بكاءٍ شديدٍ، وأقبلت ابنتاها عليها لتضمّاها وتطمئناها في الوقت الذي استطرد فيه الطبيب قائلاً:

- أهم حاجة الراحة و المتابعة ودي حاجات مش حيلاقيها غير من متخصصين في المستشفى يا حاجّة، إن شاء الله يومين تلاتة ويفوق و إسبوع بالكتير ويخرج معاكم من المستشفى زي الفل، أنا عاوزك تطمني ولما يخرج بالسلامة تخلي بالك عليه في فترة النقاهة.

من بين دموعها أجابت الحجة أم سلمى قائلةً:

- حاضر يا دكتور، ححطه في عيني زي ما هو موجود طول عمره.

ابتسم الطبيب ابتسامة وُدٍّ وأردف:

- ومهم برضه إنتي كمان يا حاجّة تاخدي الدوا اللي كتبتهولك من شوية، مش عاوزين موضوع التعب ده يتكرر تاني، شوية فيتامينات كدة وانتي الحمد لله، ضغطك كويس والسكر معقول، بس نخللي بالنا بقى، ده المهم.

أومأت الحاجّة أم سلمى برأسها إيجابًا وهي تحاول التماسك قائلةً:

- حاضر، حاضر يا دكتور، بس المهم هو يبقى كويس، أنا مش مهمة، هو اللي مهم، ربنا ما يحرمناش منه أبدًا ولا من دخلته علينا.

ثم عاودت البكاء مرةً أخرى، في حين تدخَّلت ابنتاها محاولتان الشدَّ مِن أزر أمهما، مستعينتان بكلمات الطبيب ومستدلتان على كلماته التي تطلب الراحة لوالدهما.

استأذن الطبيب للمغادرة مع وعده بالمرور على الحج «عـزازي» في المستشفى مساء الغد للاطمئنان على حالته وتأكيده على أن سيارة الإسعاف سوف تكون متواجدةً في خلال ساعتين على الأكثر لنقله.

تسللت أم سلمى إلى حجرة الحج «عزازي»، ووقفت لدى الباب، وهي تنظر إليه بحبٍّ ولهفةٍ، وتتمنى من كل قلبها أن يعود إلى وعيه ويملأ الدنيا بصوته وطلباته التي تملأ عليها حياتها.

تطلعت إلى حيث يرقد على فراشه، وهو غائبٌ في غيبوبةٍ عميقةٍ وعالمٍ آخر، لا يعلم أحدٌ متى سيعود منه.

*****

أضواءٌ ملونةٌ ساطعةٌ تتلألأ، أنارت كل ركنٍ مِن أركان القبو الواسع، أضواءٌ أحالت ظلام أركان القبو إلى نهارٍ، أصواتٌ متداخلةٌ مِن كلِّ صوبٍ تدور في أرجاء المكان، بينما جلس «حلو» وهو يرتعد ممسكًا بالكتاب وكأنه يحتمي به، وعلى وجهه علامات فزعٍ رهيبٍ ولا يدري ماذا يحدث من حوله.

مرَّ ما يقارب الدقيقتين والأضواء ترتفع وتنخفض وألوانها تتداخل وكأن قوس قزح قد انفجر في المكان، والأصوات تعلو وتنخفض وهي تتحدث بكلماتٍ حملت كل لهجات الأرض، ولكنّ «حلو» لم يستطع أن يميز منها جملةً واحدةً من شدة تداخُلِها، وبدأت الأضواء تخفت تدريجيًا، وبدأ الوضع يعود إلى سابقه، لتحتل الإضاءة البسيطة مكانها من جديدٍ، وتعود أركان القبو إلى قلب الظلام مرةً أخرى.

نظر «حلو» حوله بفزعٍ، وفرائصه ترتعد بعنفٍ، شعر أنّ دقات قلبه تكاد تحطِّم عظام قفصه الصدري لتقفز هاربةً إلى مكانٍ آمنٍ، بينما لا يكاد يقوى على أنْ يحرك قدميه لينهض من جديدٍ.

مرَّت دقيقةٌ أخرى، استعاد فيها «حلو» سيطرته على انفعالاته، بينما لا تزال حالة الفزع تتملك أطرافه، قاوم بصعوبةٍ، ونهض من مكانه، وهو يدور حول

نفسه بترقبٍ، و ذراعاه ما زالتا تحيطان بالكتاب وتحتضنانه وعيناه تتطلعان إلى الأركان المظلمة، والهواجس المخيفة تتقافز إلى عقله بلا رحمةٍ، وتحدّث إلى نفسه بصوتٍ مسموعٍ قائلاً:

- يا مراري، يا نصيبتي، يا نايبتي، يا بلوتي، استر يا رب، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، استر يا رب، طبعًا حتطلعلي سحلية حولة عملاقة من الركن الضلمة اللي هناك ده وحتطلب مني أرقص بلدي يا أما تتكاثر معايا بالانقسام، وأكيد من الركن التاني ده، حيطلع عفريت بعين واحدة وحيطلب مني احطله قطرة بريزولين فيها وحيبهدلني لاني معاييش البريزولين، اه ياني يا أما، يا ترى حيحصل ايه يا أما، معاييش بريزولين يا أما...

لم يكد «حلو» ينتهي من كلماته وتساؤلاته، حتى جاءته الإجابة من بين ذراعيه تمامًا:

- حيحصل ايه يعني؟؟؟ كل خير يا حلو.

انتفض «حلو» انتفاضةً كادت تنخلع معها رقبته عن جذعه، وارتد مبتعدًا قاذفًا الكتاب من بين يديه قبل حتى أن يحاول النظر إليه وهو يطلق صرخةً جزعةً رفيعةً، وما إن ابتعد عدة خطوات واختبأ خلف تلِّ كتبٍ مجاورٍ، حتى

أطلّ برأسه ليرى من أين صدر هذا الصوت، فلربما يكون الحج «عزازي».

لم يجد أيّ شخصٍ في الجوار، مما زاده رُعبًا، وبدأت قسمات وجهه في التحول إلى البكاء من شدة الرعب، ظل «حلو» يحدق في المكان بفزعٍ ثم قال بصوتٍ مرتجفٍ:

- سلامووو عليكووو، أيووة، مين اللي هنا يا جماعة؟؟

خرج الصوت رصينًا من قلب الكتاب قائلاً:

- أنا يا حلو، أنا كتاب الحواديت.

حملق «حلو» باتجاه الكتاب فاغرًا فاه بعدم فهمٍ، وبدأت قدماه في الارتعاد مجددًا وهو يقول بنبرة رعبٍ:

- كتاب إيه يا جماعة؟؟؟ يا جماعة ارجوكم بلاش الهزار ده لو سمحتم، يا حج عزاااازي بلاااش سخافة، حا اشتم على فكرة.

عاود الصوت الصادر من الكتاب التحدث مرةً أخرى قائلاً:

- حتشتم ليه بقى؟؟ مش انت اللي فتحت الكتاب؟؟ خايف من إيه؟ ده أنا مجرد كتاب ورق.

ازدرد «حلو» لعابة وهو يحدق في موضع الكتاب وقد تأكد أن الصوت صادرٌ بالفعل من ناحيته، وبدأت مشاعر الفزع تتملك منه أكثر وأكثر فقال:

- انت إيه بقى بالصلاة على النبي كدة؟؟ إنس والا جن؟؟ لو إنس يبقى أؤمر، وقول عاوز إيه عشان أنا على الترتوفة وحغرق الدنيا بيببي، ولو جن، قول برضه عشان أغرق الدنيا بيببي علطول من غير ما تعمل حاجة.

صدرت ضحكةٌ جوفاءُ من قلب الكتاب المفتوح المُلقى على الأرض، وخرج منه الصوت مُخاطبًا «حلو»:

- جن مين يا ابني؟؟ أنت بتصدق في الكلام ده برضه؟؟ ما عفريت الا بني آدم يا حلو.

بدت بعض علامات الارتياح على وجه «حلو» الذي استعاد صوته بعضًا من ثباته، وإن كانت نبرته ما زالت تحمل كثيرًا من الخوف وهو يقول:

- طب طالما انت إنس الحمد لله، جيت هنا ازاي؟؟ وعاوز إيه؟؟ إنت فين بقى؟ متداري فين لو سمحت؟ انت بعتك الحج عزازي طيب؟؟ وايه اللي مخبيك ورا الكتب كدة يا استاذ، عيب يا استاذ الحركات دي، اظهر، دي مش لعبة يا استاذ.

علت الضحكة الصادرة من قلب الكتاب ثم صدر الصوت مرة أخرى ليخاطب «حلو» قائلاً:

- لا، اطمن، أنا بقالي أكتر من ألف سنة عايش كدة، وما تخافش على الكتب، أنا أخاف عليها أكتر منك.

اتسعت عينا «حلو» بخوفٍ، وهو يُردِّدُ:

- ألف سنة، هي ليلة سوخة من الأول ومش فايتة، انت حتهزر يا عم انت والا ايه الموضوع؟ اتفضل بالذوق اظهر كدة وكلمني، لو الحج «عزازي» باعتك تهرج، والنبي أنا مش ناقص، انا ركبي أساسًا مش شايلاني، اظهر كدة وقولي دخلت هنا ازاي.

صدر الصوت من قلب الكتاب مرةً أخرى بهدوءٍ قائلاً:

- أنا ما دخلتش يا ابني.

- احنا حنهرج يا حج، انا لفيت البدروم كله بقالي تلات ساعات بلف ومكنش فيه بني آدم، والحج عزازي مأكدلي إن مفيش حد دخل هنا غيري.

- يا ابني، انا ما دخلتش، انا جوة أصلاً، ما بخرجش.

- وبعدين بقى في الشّبْكة السودة دي، احنا حنهزر يا عم انت؟ هو إيه اللي ما دخلتش، وما بتخرجش، جوة فين؟؟؟

تحدث الكتاب قائلاً:

- أنا الكتاب اللي انت كنت لسة ماسكه في حضنك ده وشايله زي ابنك من شوية.

نظر «حلو» إلى الكتاب لحظةً، ثم قال:

- وبعدين بقى في الليلة الكوبية دي؟ كتاب ايه اللي انت جواه يا سيدي؟ هو أنا ناقص؟؟

وفجأة، ارتفع الكتاب المفتوح عن الأرض، وطار في الهواء مارًا من فوق رأس «حلو» الذي تابعه وهو متحجِّرٌ في مكانه، ورآه يعبر من فوق رأسه ويستقر فوق تلٍّ آخر من الكتب.

انفغر فم «حلو» مرةً أخرى، ثم بدأت ملامح وجهه في التغير إلى الرعب حتى كاد يبكي، وهو يقول بنبرة رعبٍ أقرب إلى البكاء:

- ينفع كدة؟؟ تضحك عليا وتقولي إنس، وما عفريت إلا بني آدم، وتشتغلني،

مين حيغيرلي هدومي دلوقتي؟؟ عارف كمية المية دي زمانها بوظت كام مخطوطة أثرية في الأرض؟

صدرت ضحكةٌ بسيطةٌ من داخل قلب الكتاب ثم قال:

- أنا يا ابني بيسموني كتاب الأحلام، وبيدلعوني يقولولي يا «حليمو».

- حليمة؟؟؟ حليمة مين؟ عاوز مني ايه يا حليمة؟؟

- يا ابني بقولك حليمو، مش حليمة!!

- حليمو، حليمة، قولي عاوز مني ايه لإن كدة حيجيلي برد من المية اللي مبهدلاني دي.

تحدث الكتاب مرةً أخرى قائلاً:

- انا مش عاوز حاجة يا ابني، انت اللي عاوز.

- لا وربنا ما عاوز حاجة، الغيار حاتصرف فيه، مش عاوز حد يغيرلي ربنا يخليك ويكرمك.

- هو انت مش فتحت الكتاب؟؟

- كتاب ايه يا عم انت؟؟

- حواديت السعادة يا حلو؟!!

- اه فتحته، هو عيب؟؟؟ ما انا فتحت زلّوخ كتاب قبل كدة، وما حصلش حاجة، ايه الجديد في ده؟ ارحم أعصاب أمي.

قال الكتاب مُخاطبًا «حلو»:

- انا ححكيلك يا ابني.

رد عليه «حلو» قائلاً:

- اتفضل احكي يا عم الحج اما نشوف آخرتها، كلي آذان صاغية ومياه جارية كمان، البرد حيبهدلني.

صدرت ضحكةٌ قصيرةٌ عن الكتاب، ثم بدأ في سرد قصته:

- انا يا ابني موجود من أيام ملهاش عدد، وشغلتي إني أتابع الحواديت اللي حصلت في كل العصور وانقلها للناس بعد كدة عشان نخللي جواهم الأمل ونصحيه كل فترة، كل الحواديت، وكل حدوتة منهم تبتدي تموت كل كام قرن، انزل بيها على تفكير بني آدم في أي مكان في الأرض، أخليه يفكر فيها، ويألفها، وينشرها، وتتعاد تاني الحدوتة، مرة ورا مرة ورا مرة، من الآخر، أنا

شغلتي إني أحافظ على الحواديت واستمراريتها.

نظر «حلو» إلى الكتاب للحظاتٍ، وهو يستمع إلى ما يتلوه عليه، ثم قلب شفتيه وقال له:

- مؤثر قوي الكلام ده، المفروض بقى أنا الريالة تغرقني من فوق، زي ما البيبي مغرقني كدة من تحت، وتبقى دي حدوتة «حلو المبلول وحليمو المخبول»، مش كدة؟؟؟

ضحك الكتاب مرةً أخرى، وهو يقول لـ «حلو»:

- طيب يا ابني، قولي تحب أثبتلك صدق كلامي ازاي؟؟

ارتفعت أصابع «حلو» وهي تداعب رأسه وتحكُّها، وعيناه تنظران إلى الفراغ مفكرًا، ثم قال:

- والله يا عم حليمو، الموضوع مش محتاج إثبات، الموضوع محتاج قميص خلف خلاف في حالتك دي.

- يا ابني جرب، قولي بس، اسأل، انت خسران حاجة؟

- يا عم انت اسأل على ايه؟؟ أنا مش فاهم حاجة، اسأل على ايبيه؟؟؟ لا

حول ولا قوة إلا بالله، أسأل لك عن حدوتة «سنووايت» مثلا؟؟؟؟؟؟؟؟

- قبل الطلاق وإلا بعد الطلاق؟؟

- طلاق؟؟؟ احنا حنهرج يا جدع انت؟؟؟ بقولك «سنووايت»

- أيوة يا ابني، عارفها، الأميرة والأقزام السبعة، ما هي بعد ما اتجوزت الأمير بكذا شهر، اطلقت واتجوزت القزم الصغير.

- الله يخرب بيت عيشتك كتاب، دا انت أول كتاب يكون ضارب كمية برشام متنوع عامل دماغ حبر زبالة، سنووايت ايه اللي اتطلقت؟؟؟ الكلام ده مش موجود في الحواديت يا كتاب الطبخ انت، انت شكلك مش عارف حاجة.

- يا ابني انا زي ما قلتلك، اللي بأنقله للناس هو الجزء اللي بيخلي جواهم الأمل، ما ينفعش مثلاً أحكيلهم ان الأمير اكتشف إنّ «سنووايت» كانت على علاقة غير شرعية بالقزم الصغير، دي تفاصيل تعمل مشاكل في الحدوتة.

- سنووايت؟؟ علاقة غير شرعية مع القزم؟؟؟ ألطم؟؟؟ ايه الحكاية القذرة دي إلهي تولع سنووايت و القزم في ساعة واحدة!!!!!

- البيوت ياما بتداري يا «حلو» يا ابني.

- لا يا شيخ، والمفروض أنا بقى اصدق الكلام الفاضي ده؟؟

- يا ابني وانا حضحك عليك أو أغشّك ليه بس؟؟؟

- مممم، طيب، سندريلا مثلاً؟؟

- اشمعنى؟؟

- انت حتخشلي قافية؟ انت كتاب نكت و لا ايه؟!!

- يا ابني انا قلتلك اسأل وأنا أجاوبك.

- في مشاكل في حكاية سندريلا؟؟؟

- مفيش بيت مفيهوش مشاكل يا «حلو».

- يا عم فُكّك من جو برنامج «حياتي» ده، انت جي تهرج؟؟؟

- يا ابني سندريلا بعد ما اتجوزت الأمير، طمعت في كل فلوسه لأنها كانت طول عمرها فقيرة، ومع مرور الوقت، خلته يتنازل لها عن كل ما يملك ومضته على كمبيالات وشغلانة، وطردته في الشارع في نصاص الليالي.

- كمبيالات؟ دي سندريلا؟؟؟ اومال لو كانت فضة المعداوي كانت عملت فيه ايه؟؟؟ مممممم، لا بس حلوة اللعبة دي، خيالك واسع يا جدع انت، الصنف

موته، حتكون حكاية سليمة والناس ممكن تتعلم منها برضه.

- هو ما اكلهاش، هي أخدت أربعين غرزة في وركها والصياد شغلها في مصنع سجاد يدوي بعد كدة لما باظت وبقت تعرج بدل الشحاتة بالمناديل في الإشارات.

- ألطم يا ناس؟؟؟ أربعين غرزة؟؟ ومصنع سجاد يدوي؟؟؟ ذات الرداء الأحمر أخدت أربعين غرزة؟؟؟ هي اتفتح عليها مطوة في شارع الوحدة؟؟؟ ومصنع سجاد ايه وهباب ايه؟؟ هي كانت عايشة في كراسة يا عم المجنون انت؟؟؟

- يا ابني ده اللي حصل، بس الكلام ده سر.

- لا والنبي ايه؟!! حامشي أنا أصلي زي الأهبل في الشوارع اقولهم إن سنووايت كانت مرافقة قزم، أو اركب الاوتوبيس واحكي للناس على سندريلا الواطية اللي ضحكت على البرنس وشفطت اللي وراه واللي قدامه، انت عاوز تجنني يا عم انت؟؟؟!!

- هو ده الواقع يا «حلو» يا ابني.

- ايوة يا عم حليمو ده واقع مهبب فعلاً، بس اكيد يعني الحواديت بتبقى ليها حلاوة غير كدة خالص، مش معقول كل الحواديت سودة في نهايتها بالشكل

اللي بتسفه ده عالي عالي عالي.

- انت لسة مش مصدقني يا حلو؟؟؟

- ما علينا، احكيلي عن، عن، طرزان.

- الغوريلا جاعت ونهشته واتوفى في الدمرداش.

- أخبار سودة ما شاء الله، طيب، عقلة الأصبع؟

- الواد كان بيلعب بالعجلة وابوه ما أخدش باله وهو راجع من الشغل قام هارسه بالجزمة.

- ما شاء الله، لا، نهايات مبشرة كلها، اومال بس عمالين تقولوا عاشوا في تبات ونبات وخلفوا صبيان وبنات، دي نهايات كلها محتاجة طبيب شرعي للكشف على الجثث!! وبعدها احتفال نهائي في مشرحة.

- يا ابني انا فهّمتك، الحواديت دي أمل، لازم تدي الناس أمل، وإلا كل حاجة من حواليهم يملأها اليأس.

- أيوة بس كدة الحواديت دي كلها كذب في كذب، يعني مثلاً لو حكيت للناس إن الذئب أكل ذات الرداء الأحمر في نهاية القصة، مش الصياد اللي

ده، معقول؟؟؟ مفيش ولا حدوتة تكمل للأخر كويس؟؟

- لا فيه طبعًا، ازاي بقى؟! طبعًا فيه.

- ايوة كدة، قولي، حدوتة مين اللي خلصت على خير؟؟؟

- بنت جميلة كدة، اسمها «أليس».

- أيوة أيوة عارفها دي، «أليس في بلاد العجائب» عارفها، مالها بقى، احكيلي آخرة قصتها ايه جميل فيه؟؟

- اتعالجت من الفصام اللي كان عندها، والوساوس اللي كانت بتشوفها والخيالات، وبعد سنتين خرجت من المصحة زي الفل، بس سحبت كهربا كتير قالولي.

- تصدق بالله، انت لولا انك شكلك كتاب مهم و أثري انا كنت استخدمت معاك أسلوب مش محترم، «أليس»، سحبت كهربا يا كتاب يا فيشة انت؟؟ كل الحدوتة طلعت فصام وخزعبلات؟؟؟ روح إلهي يسد نفسك، ودي بقى بالصلاة على النبي كدة النهاية الحلوة؟؟؟

- ما هي اتعالجت يا ابني وبقت زي الفل!!!!

- عالجوك بتوع التأمين الصحي يا بعيد، قفلتني.

- يا ابني أنت فاكر إن الحواديت دي تأليف؟؟؟ دي حكايات ومواقف حصلت لناس فعلاً، وأحنا بننقلها جيل بعد جيل بعد جيل، مش اكتر، نذوّقها، ونحط فيها أمل، عشان تقروها.

- تحط فيها أمل؟؟؟ أمل تلاقيها اتجوزت دراكولا على مراته يا عم حليمو بعد اللي بتقوله ده .

صدرت من داخل الكتاب ضحكةٌ مجلجلةٌ ترددت في أرجاء القبو، ثم خاطب «حلو» قائلاً:

- الله يحظك يا حلو يا ابني، انت باين عليك ابن نكتة، هما المصريين كلهم كدة، بس انت باين عليك دمك خفيف بزيادة.

- الله يكرمك يا عم حليمو، بس نصيحة مني، الحواديت دي، انا شايف إنها ضحك على دقون الناس، معقول؟؟؟ معقول مفيش حدوتة واحدة توحد ربنا، تبقى كويسة من أولها لآخرها؟؟؟ انا لو مكان أي بطل من ابطال الحواديت دي، كنت حاربت عشان اكمل الحدوتة للآخر بشكل جميل وسعيد.

صدر الصوت من داخل الكتاب بهدوءٍ وبنبرةٍ تدل على عدم الاقتناع بكلمات

«حلو» وقال «حليمو»:

- طب عيني في عينك كدة!!!!

- حنهرج؟ عين ايه اللي ابص فيها؟ كتاب بعيون؟ ايه شغل جرايد المخبرين ده؟

- أقصد أقولك، انت مقتنع باللي بتقوله ده وانت شخصيًا عندك نفس المشكلة؟

اقتضب وجه «حلو» وتوترت ملامح وجهه حين تذكر مشاكله مع «سعادة» فاستطرد «حليمو» قائلاً:

- يا ابني أنا عارف كل حاجة، وعارف حكايتك، انت وسعادة، انا شغلتي زي ما قلتلك، أشوف الحواديت ، وأنقل السعيد منها للناس عشان الأمل، وده بيخليني طول الوقت اتفرج على حواديت الناس، في كل مكان وزمان.

- ده اسمه شغل مصاطب يا عم حليمو، انت كتاب شغال في أمن الدولة؟

صدرت قهقهةٌ من داخل الكتاب بصوتٍ مرتفعٍ، ثم عاود الكتاب مخاطبة «حلو» قائلاً:

- عمومًا، انت سايب حدوتك الخاصة، وبتعيب في حواديت غيرك، بدل ما تحاول تصلح الحدوتة اللي كانت سعيدة في أولها، وابتدت تنتهي نفس نهايات الحواديت اللي عندي، قولي بقى، ايه الفرق بيني وبينك؟؟!! ها؟؟؟

صمت «حلو» فترةً طويلةً، وهو يفكر في الكلمات الصادرة من قلب الكتاب، إنها كلماتٌ صحيحةٌ بالفعل، لقد أصبحت قصته مشابهةً لكل القصص المحيطة، الواقع يفرض عليه أنْ يعيش قصةً مكررةً، أين ذهب حبه لحبيبته «سعادة»؟؟ أين ذهبت الأشواق والمشاعر الملتهبة التي اشتعلت قبل الزواج؟ متى انطفأت؟ أين اختفت؟

تذكر آخر حوار دار بينهما، وأصابته غصة في حلقه شعر معها بمرارةٍ شديدةٍ، إلى هذا الوضع آلت الأمور بالفعل؟؟ هل ستستمر حياته مع «سعادة» في هذا الوضع الذي لم يكن ليتخيل أن تصل إليه الأمور؟؟

قطع حبل أفكاره صوت «حليمو» الذي قال:

- لسة في ايدك كل حاجة يا «حلو»، انت يا ابني مع مراتك اللي ممكن تختاروا طريقة حياتكم، ممكن تبقى زي الحواديت اللي في الكتب قبل الجواز، وزيها برضه بعد الجواز، وتبقى حدوتك مكررة، وممكن تغير كل ده.

نظر «حلو» إلى الكتاب بوجومٍ للحظات، ثم قال:

- أنا عمري ما اتمنيت أبدا غير أني أسعد سعادة يا عم حليمو.

- عارف يا ابني، بس الدنيا بتغير، والظروف الجديدة بتخللي البني آدم أحواله تتبدل، ومع الوقت، الواحد بينسى نفسه، وينسى كان فين وبيحلم بإيه مع شريكة حياته، ويبتدي يبعد، ويبعد، ويبعد، لحد ما فجأة كل واحد يلاقي نفسه في أبعد نقطة عن التاني وصعب جدًا جدًا الرجوع والقرب مرة تانية.

- كلامك للأسف صحيح يا عم حليمو.

- يا ابني أنا كتاب حواديت قديم قوي، وشفت ياما، بس أقولك على حاجة، انت جواك حاجة مختلفة، انت جواك حب كبير لسعادة، والغريب إن الحب ده، لسة موجود عندك بعد الجواز زي ما كان موجود قبل الجواز، حب زي حب الحواديت اللي بنقُلها.

ابتسم «حلو» مع سماعه لتلك الكلمات، وظهرت علامات الخجل على وجهه، وهو يقول:

- الله يكرمك يا عم حليمو، بس للأسف الدنيا برضه تلاهي، واحنا عندنا مشاكل طرأت على حياتنا مخليانا مش مركزين.

- قصدك يعني على موضوع الخلفة؟؟؟

- ده انت فاضيلي بقى؟!!!

- يا ابني، لو ركزت، «حتعيشوا في تبات ونبات وحتخلفوا صبيان وبنات»

- لو ركزت ازاي يعني؟؟!!! لا لا لا لا، أنا مش مقصر، انا زي الفل الحمد لله، وميت فل واربعتاشر، أنا أسد.

- يا ابني مش قصدي كدة، انا قصدي إنك تركز في حبها، زي ما كنت بتحبها، لازم ترجعلها أحاسيس زمان، إحساس ما قبل الجواز، إنها مرغوبة، إنها محبوبة، إنك تكون كل اللي تتمناه هي، إنها تكون سعيدة بس، وعلى فكرة بقى، أنا أقدر أساعدك.

ظهرت علامات الاهتمام على وجه «حلو» وهو يقول بتساؤلٍ:

- تساعدني؟؟؟ تساعدني ازاي يا حليمو؟؟

صمت الصوت الصادر عن الكتاب لوهلةٍ، ثم أردف قائلاً:

- شوف ، انت تقدر تقرأ القصص من قلب الكتاب، وتشوف كل بطل من أبطال الحواديت، وكل بطل من الأبطال دول، بيبقى ليه موهبة، يقدر بيها

يسعد اللي حواليه، المهم تكون انت عارف انت عاوز ايه ، وأنا ممكن أساعدك في تفاصيل الحدوتة.

توترت ملامح «حلو» بشدةٍ وهو يفكر في آخر كلمات الكتاب العتيق. بالفعل؟؟؟ ماذا يريد؟؟؟ كيف يمكن أن يعيد لها الإحساس والشعور القديم مرةً أخرى؟؟ كيف يمكنه أن يتخطى معها الحاجز الكبير الذي ارتفع بينهما مع مرور الأيام؟؟ خاصةً الأخيرة منها؟

لا بد من أن يتذكر الأيام الخوالي، وكيف كان يُدخل إلى قلبها البهجة طوال الوقت، لابُدّ أن يستعيد رونقه من جديد، ويقدِّم لها ما كان يقدِّمه على طول الخطّ، يقدِّم لها:

- «السعادة».

نطق حلو بهذه الكلمة وهو ينظر إلى الفراغ، في الوقت الذي تحركت فيه صفحات الكتاب بسرعةٍ فور أن نطقها «حلو»، ثم ما لبث «حليمو» أنْ نطق قائلاً:

- فعلاً ، انتوا يا ابني بتتشغلوا وسط هموم الحياة والالتزامات، وكل واحد بيبتدي يؤدي دور تاني خالص غير الاهتمام بشريك حياته، فجأة بتلاقي نفسك بتبعد وتبعد وتبعد، لحد ما بيجي عليك يوم وبتلاقي نفسك بتسأل، مين الولية اللي معدية من الحمام للصالة دي؟؟ انت عندك حق، السعادة حلوة مفيش كلام، و أنا فتحتلك الكتاب على قسم السعادة، ممكن تقرا في الحواديت و تشوف تقدر تستفيد منها ازاي، السعادة حلوة، حلوة مفيش كلام.

- ايه شغل محمود عبدالعزيز في ابراهيم الأبيض ده؟؟

ضحك «حليمو» ضحكةً قصيرةً، ثم قال متابعًا:

- السعادة حاجة مهمة، طول عمري في الحواديت بدور عليها، شوف، خليني اقولك أنا أسهل، أكتر واحد قدم السعادة للناس في دنيا الحواديت، حبيبي، ياما قضينا أيام حلوة زمان، ياما اتفسحنا في عربيته، و هو حاططني ورا في الشنطة، بصراحة كان أبو الكرم كله، وعمره ما كان بيعدي على بيت إلا أما بيسعد أهله، معطاء معطاء مش تهريج.

- ده بتاع اللبن، صح؟؟؟ غريب انت يا عم حليمو، كان بيعدي على البيوت الصبح يصب اللبن في اكياس نايلون ويربطها وتقع منك في أرضية المطبخ، وتنزل تلمه بسفنجة، عارفه انا جو الشحاتين ده.

- يا ابني بتاع لبن ايه بس وبتاع ايه؟، بُص، انت حتخرج للعالم الحقيقي دلوقتي، تشوف مراتك، وتسعدها، انت يا حلو، حتبقى تاااااجر السعاااااادة.

- احلف!!!، معقول؟؟؟ ابوتريكة؟؟؟ الله عليك يا حبيب والديك.

- يا ابني ارحمني وبطّل كلام شوية، انت حتخرج دلوقتي للعاااااالم الـ...

قاطعه «حلو» بسرعة:

- تقصد حتدخلني عالم الحواديت؟ ايوة ايوة، زي ايمان الطوخي في مسلسل الأطفال بتاع زمان ده، عارفه انا عارفه، فاكره، وحفضل اغني وأقول العقل زينة، ترالم، وسط السفينة، ترالم.

- يا ابني ايمان الطوخي ايه بس؟؟؟ لا، حتخرج للعالم الطبيعي، بشخصيتك الطبيعية اللي حتساعدك على تحقيق السعادة، بس، مش بنفس شكلك ده، لازم تاخد شكل صاحب الحدوتة، ولازم تقدم اللي في عقلك انت، ولازم مراتك تقتنع باللي حتقدمه من غير ما تعرف انك «حلو»، لازم تفهم منها سر السعادة من وجهة نظرها اللي انت بنفسك لسة قايل أنها ناقصاكم عشان تقدر تقدموهولها بنفسك لما تخرج من هنا.

توترت خلجات «حلو» وهو يستمع إلى كلمات «حليمو»، وبدأت دقات قلبه

في الإسراع وهو يفكر، كيف سيفعل كل هذا؟ في الوقت الذي أكمل فيه الكتاب كلماته:

- تنتهي الحدوتة مع دقات منتصف الليل زي سندريلا بالظبط.

- يعني حتلبسني فستان بمبي في موف؟؟؟ ألطم؟؟؟ حستهوى في البرد برة كدة!! الدنيا تلج يا ناس يا جبابرة، بتمطر برة يا جدعاااان.

ظهرت علامات الضجر في نبرات الصوت الصادرة من «حليمو» في قلب الكتاب وهو يقول بغضب:

- بس بقى بلاش غلبة، خليني اقول الجملة السحرية عشان تلحق تشوف شغلك.

قاطعه «حلو» بسرعة مرةً أخرى قائلاً:

- كلمة سحرية؟؟؟ عارفها على فكرة، «افتح يا سمسم» صح؟؟؟

- يا ابني بس شوية!! لا، غلط، مش افتح يا سمسم.

- بس بس بس، عرفتها التانية، «الهابرا كدابرا» بتاعة هاري بوتر صح؟؟ شفتها في السينما من سنتين.

كاد صوت «حليمو» ينفجر غضبًا وهو يقول بصوتٍ مرتفع:

- حلو، لو نطقت كلمة تانية حاسخطك قرد.

أشار «حلو» إلى الكتاب إشارةً مفادها أنه سيصمت ولن يتحدث مرةً أخرى.

وفجأة، بدأت الجدران ترتجُّ من حول «حلو» و بدأت تلال الكتب في الاهتزاز، بينما بدا الصوت جهوريًا صادرًا من قلب الكتاب وهو يرجُّ المكان:

- كل وقت، وله حدوتة، بس المهم، تكون مظبوطة.

وعلى الفور، بدأت الأضواء الملونة في الظهور من جديدٍ، وارتفعت الأصوات المتداخلة بكلّ اللغات الصادرة من العدم، و لكن هذه المرة، وجد «حلو» جسده يذوب ويفنى، وتتجه ذراته إلى قلب الكتاب، لم يشعر بأيِّ ألمٍ، لم يشعر إلا بخمولٍ طفيفٍ، وأخذ جسده رويدًا رويدًا يختفي مُتجهًا إلى داخل الكتاب، وبعد مرور دقيقةٍ واحدةٍ، عاد كل شيء إلى ما كان عليه من هدوءٍ، إلا شيئًا واحدًا فقط: لم يكن «حلو» موجودًا في القبو، كان قد اختفى بالكامل في قلب صفحات الكتاب.

*****

٦

ألوانٌ وألوانٌ وألوانٌ،

هذا ما رآه «حلو» في اللحظات التالية، كان يطير وسط كمٍّ هائلٍ من الألوان المتداخلة ، تحيط به أصواتٌ وكلماتٌ بعددٍ لا حصر له من اللغات.

لم يَعُدْ يشعر بالزمان أو المكان، لم يعد يشعر بالاتجاهات أو يستطع حتى أن يُحدد أي شيءٍ خلال ذلك الوقت.

وفجأةً، اختفى كلُّ ما يحيط به في لحظةٍ واحدةٍ، ووجد نفسه واقفًا في ردهة منزلٍ خشبيٍ ذي تصميمٍ بسيطٍ، تحرك «حلو» بترقُّبٍ محاولاً التأكد من قدرته على السيطرة على تحركاته، وفي أثناء محاولته التحرك، لمح شيئًا ما يتحرك على الجدار الموازي له، فارتجف برعبٍ وتراجع خطواتٍ إلى الخلف بسرعةٍ،

واستدار لينظر إلى ذلك الجسم المتحرك الذي تراجع معه بتزامنٍ عجيبٍ.

ولكنَّ رعبه تحوَّل إلى فزعٍ حقيقيٍّ، ظهر واضحًا في شكل صرخةٍ طويلةٍ رفيعةٍ صدرت من حلقه وهو يُطالع ذلك الكائن الضخم الذي ظهر أمامه والذي اتضح سريعًا أنه ليس سوى انعكاس صورته في المرآة.

صاعقةٌ هوت على رأس «حلو» وهو يُطالع نفسه فى المرآة من بعيدٍ، مما جعله يقترب منها بحذرٍ، مُحركًا أطرافه بحركاتٍ عشوائيةٍ، فقط ليتأكد أنَّ ذلك الجسد هو جسده بالفعل، ثم ما لبث أن صرخ بلوعةٍ قائلاً:

- الله يحرقك يا حليمو الكلب، إيه ده؟؟ بابا نويل؟؟؟ ألطم على وشي؟؟؟ قصدي ألطم على كرشي؟؟؟ كل ده كرش؟؟؟ وإيه ده؟؟؟ يا مراري، إيه الحَمار ده كله؟؟ كل ده أحمر؟؟؟ وأنا اللي كنت معترض على فستان سندريلا البمبي؟!!، أديني لابس أحدث منتجات محلات «جويا» أهو، إلهي وانت جاهي، يوريني فيك يوم يا «حليمو»، أروح فين بالجوانتي ده؟؟؟ والزعبوط اللي على راسي ده؟؟ والجزمة فرو الخروف دي، جوتشي دي؟، اروح بيها فين الساعة دي؟؟؟؟ ده المطر حيبهدلها وحتشيل طين الشارع كله.

ظل «حلو» ينظر إلى نفسه في المرآة فترةً طويلةً وهو ينظر إلى شكله الذي

تغير تمامًا، كرشٌ ضخمٌ، مؤخرةٌ كبيرةٌ للغاية، جسدٌ مترهلٌ.

لم يقطع نظراته إلى المرآة إلا دقات الساعة التي أشارت إلى الخامسة صباحًا مع انبعاث أول شعاع للشمس في الأفق ظهر من نافذة المنزل، مما جعله يقول بتلقائيٍ:

- يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم، ايه ده؟؟ ايه اللي انا بقوله ده؟؟؟ بابا نويل ايه اللي حيقول يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم، ؟؟ ده بابا نويل والا واقف على مكنة عجين الطعمية اللي على أول الشارع عندنا؟؟

بدأ «حلو» في البحث حوله، عما يشير إلى مكانه، ولكنه لم يستطع التعرف على هذا المكان أبدًا.

توجه إلى باب المنزل الخشبي، وفتحه لتصطدم به برودة الجو القارصة، ومساحةٌ من الثلوج تمتد امتداد البصر، وإلى جانب المنزل، كان يقبع الشيء الأكثر غرابة الذي رآه في حياته.

عربة «بابا نويل» التي تجرها ستة أزواجٍ من حيوانات الرنة الثلجية، وقد امتلأت مؤخرة العربة بعشراتٍ وعشراتٍ من الهدايا المغلّفة والألعاب الملونة.

فكر «حلو» للحظاتٍ، ثم ما لبث أن استجمع شجاعته، وأغلق باب المنزل مُتجهًا إلى العربة الخشبية الجميلة، وركب فوق مقدمتها مُتخذًا مكان السائق، قائلاً بصوتٍ عالٍ، مخاطبًا الفراغ:

- طبعًا أنا مش عارف أنا بعمل ايه هنا؟ بس أنا عاوز أروح مصر، ودوني القاهرة، كايرو معاك لو سمحت، وبليز، بلاش محور، ولا دائري بليز، ولا أكتوبر، وشغل العداد، وحراضيك برضه في الآخر.

وكأن حيوانات الرنة الجميلة قد فهمت تمامًا ما يقوله «حلو» في شكله الجديد، فبدأت في التحرك فورًا، زاحفةً فوق الثلوج، وأخذت سرعتها تزداد شيئًا فشيئًا، حتى وصلت إلى سرعةٍ كبيرةٍ بدأت معها العربة في الارتفاع، والطيران في الهواء، وهنا بدأ «حلو» يرتجف رعبًا مُحدثًا نفسه داخل عقله:

«ايوة، صح كدة، بابا نويل كان بيطير بالعربية ، ربنا يستر ومايكونش مصيرها نفس مصير طيارات مصر للطيران، أنا بقى لازم أسبُك الدور على حيوانات الرنة دي لتستفرد بيا وتمرمطني، أيوة، بابا نويل الحقيقي كان بيقول ايه في الحواديت؟؟، كان بيقول ايه ياض يا حلو؟؟؟ ايوة، ايوة افتكرت»

تنحنح «حلو» استعدادًا للصيحة، أخذ نفسًا عميقًا، ثم قال بكلِّ ثقةٍ، بصوتٍ

جهوريٍّ:

- يا خراااااااااااابااااااااااااي!

وترددت صرخته مرارًا وتكرارًا، وهو يبتعد في الأفق، تاركًا صدى الصوت يكرر عباراته، وأخذ يبتعد

ويبتعد.

*****

كانت عقارب الساعة تشير إلى السابعة صباحًا، في الوقت الذي انفتح فيه باب شقة «حلو» ودلفت من خلاله «سعادة» بوجه مبتسم بشوشٍ حاملةً في يدها ذات الحقيبة التي خرجت بها من خلاله منذ ليلتين مضتا.

لم تلبث أن وضعت الحقيبة بجانب الباب، وأغلقته وراءها بهدوءٍ، ثم اتجهت إلى غرفة النوم، لتبحث عن «حلو»، ولكنها وقفت فجأةً أمام باب الغرفة حين وجدتها خاليةً.

استدارت «سعادة» بسرعة لتلقي نظرةً على باب الحمام لتجده مفتوحًا كدليلٍ على أن «حلو» ليس بالداخل.

وقفت «سعادة» للحظاتٍ، ثم قالت مخاطبةً نفسها بصوتٍ منخفضٍ:

- نزل بدري ليه كدة؟؟ تلاقيه يا حبيبي ما فطرش ومعملش شاي، وصحي نزل على طول على لحم بطنه، اخص عليكي يا سعاااادة ، اخص عليكي، يا حبيبي يا حلو، أنا آسفة يا حبيبي.

وبدا على وجهها علامات ندمٍ عميقٍ ومحاسبةٍ للنفس، ثم أكملت بخفوتٍ:

- يا ترى قضى الليلة دي لوحده ازاي؟؟؟ دي الشقة زي ما سبتها بالظبط، شكله ما دخلش المطبخ شرب كوباية مية حتى، انتي وحشة يا سعادة، انتي جزمة قديمة.

جلست على الكرسي المواجه للباب، وظلت تفكر قليلاً، ثم ما لبثت أن نهضت مرةً أخرى بعد برهةٍ قصيرةٍ وهي تقول:

- أنا كمان ساعتين تلاتة كدة، أكون خلصت شوية شغل في البيت، وأنزل السوق بقى، اشتري شوية حاجات، وأعمله اكلة حلوة من الحاجات اللي بيحبها حبيبي، اخص عليكي يا سعاااادة، اخص عليكي.

واتجهت إلى المطبخ وبدأت في عادتها اليومية بمطاردة بعض الحشرات الزاحفة التي دفعها قدرها الأسود للخروج في تلك اللحظة ظنًا منها أن البيت

قد خلا من ساكنيه.

ظلت تطاردها بتؤدةٍ وهي تفكر، كيف أمضى ليلته الأولى دونها؟؟! ولكنها لم تعلم أبدًا أن ليلته السابقة كانت حافلة بكل أنواع الإثارة، وأكثرها دهشةً.

*****

ظهر نهر النيل مع ظهور أشعة الشمس التي بدأت أشعتها تنعكس على سطحه، لتحوِّل لون النهر إلى لونٍ ذهبيٍّ، وتداعب عيون الطيور في السماء، وعيني «حلو» أيضًا، الذي كانت العربة تسير به بسرعةٍ رهيبةٍ طوال ما يزيد عن ثلاث ساعاتٍ من الزمن في ذلك البرد القارص، وعلى ذلك الارتفاع الشاهق، مما جعله يقول بإرهاقٍ:

- خلاص، مترين كمان وحرجّع في شنطة العربية، كان لزمتها إيه أم المخمضة دي يا حليمو إلهي تتهد، مكانش ينفع تحدفني في حتة قريبة، لازم رحلة السفر دي كلها؟؟ وشّي نمّل من البرد والتلج، مش حاسس بمناخيري خلاص، حاسس اني بقيت عبارة عن زعبوط ونازل منه عينين، ولا الدقن دي عامله حاجة، متقلة وشّي والسلام.

تباطأت سرعة العربة التي تجرُّها «الرنة»، وبدأت في الهبوط واقتربت من

سطح الأرض بسرعةٍ بينما بدأ «حلو» ينظر حوله قائلاً:

- ايه ده؟؟ ايه ده؟؟؟ مش هنا يا جدعان، دي رمسيس دي، أنا ساكن في المعادي يا، يا، يا بهاااايم، مش هنا.

واصلت حيوانات الرنة الهبوط، حتى استقرت على الأرض في قلب ميدان رمسيس في تمام الساعة التاسعة صباحًا، في وقت الجحيم.

«اتحرررررك يااااا بججججججم»

قالها أحد سائقي السيارات الملاكي.

«طول ما البلد فيها عربجية زيكم مش حنفلح ولا حنشوف خير أبدًا، اتحرك يا حيوان»

قالها أحد سائقي الأجرة.

«خش عجلة يا برنس عشان لو العجلة إتحكت حانزل اعمل معاك السليمة»

صاح بها أحد سائقي السرفيس.

« إيه اللي انت لابسه ده يا راجل يا مُهزأ»

قالتها عجوزٌ شمطاءُ مُسنةٌ كانت تعبر الطريق مرتكزةً على عصًا خشبيةٍ

«ما تيجي»

قالها أحد المخبولين المجاذيب الذين يبدو على هيئتهم الجنون بشعرٍ طويلٍ ووجهٍ متّسخٍ وهو مرتكنٌ إلى أحد أسوار الميدان الحديدية.

وبين صرخات هذا وذاك، وقف «حلو» فوق ظهر العربة منتصبًا لا يدري ماذا يفعل، ثم قال مخاطبًا حيوانات الرنة:

- عاجبكم كدة؟؟؟ انا قلت كدة؟؟؟ حسبي الله فيكم، دا احنا حتى لو حبينا نتنيل نطير تاني مش حنعرف من الزحمة إلهي يوعدكم بدب قطبي يطلع مصارينكم في ايده، أعمل ايه أنا الساعة دي؟؟؟ ده وقت انفجار ميدان رمسيس يا كفرة، طب كنا نزلنا على الكورنيش، لما انتوا ما بتعرفوش تحضّنوا؟ بتسووووقوووا لييييه؟؟!

بدأت أبواق السيارات ترتفع باحتدادٍ بينما «حلو» يحاول مخاطبة الجميع معتذرًا وهو في زي الاحتفال الرسميّ، ويحاول امتصاص غضبهم بلا جدوى، ولم يجد في النهاية مفرًا من الإمساك بلجام حيوانات الرنة ، ثم محاولة البدء في تحريك العربة التي توسطت ميدان رمسيس وسط أبواق السيارات المعترضة بلا توقفٍ.

وبدأ في شد اللجام قائلاً:

«ليك ليك ليك، شيييييييييي، شيييييي الله يحرقكم، شيييييي يا بهااااااااايم»

وبالفعل، بدأت حيوانات الرنة في الاستجابة وجذب العربة والتحرك بها، والابتعاد شيئًا فشيئًا عن قلب الميدان حيث شيعه المارة بفاصلٍ من السباب واللعان طالت أبعد جذور عائلته، فقال «حلو» لحيوانات الرنة:

- عاجبكم قلة القيمة دي؟؟؟ ينفع كدة؟؟ كل الشتيمة دي بسببكم، ولسة، حنسمع قدها خمسين مرة واحنا رايحين لحد المعادي، الله ينتقم منك يا حليمو، إلهي تشوف الذل اللي أنا شوفته، يوعدك بشوية عيال صغيرة تقطع صفحاتك و تعملها دبابير بفتلة من اللي لسة حشوفه.

وبدأ «حلو» في السير بالعربة، متخذًا طريقه نحو المعادي، وسط آلافٍ مؤلفةٍ من السيارات التي امتلأت بها شوارع القاهرة في هذا الوقت المزدحم من اليوم، وبين الحين والآخر، كان يطلق صيحته لضمان استمرار حيوانات الرنة في السير:

- يا خراااااااااااااااااااابااااااااااااااااااااااااي

*****

قاربت الساعة على الواحدة ظهرًا، في الوقت الذي ظهرت فيه عربة «حلو» التي تجرها حيوانات الرنة وهي في حالةٍ يرثى لها من آثار الطين الذي ملأ الشوارع في هذا الوقت من العام نتيجة الأمطار الغزيرة.

ظهرت العربة تسير وسط شوارع المعادي الهادئة وقد خلت مؤخرتها من الهدايا والألعاب التي كانت تمتلئ بها عن آخرها.

كان «حلو» في حالة إنهاكٍ، ظهر من خلال نبرة صوته وهو يخاطب حيوانات الرنة للمرة الألف هذا اليوم:

- سوووقوووا، سوووووقوووا، عشان تحرموووا، فاكرين نفسكم في ستوكهلم منك له؟؟؟ سوووقوووا، تستاهلوا اللي جرالكم، حتى الهدايا، العيال بتاعة المدارس اللي ناطة من فوق السور قلبتها، الحمد لله انهم سابولي الزعبوط.

وفي أثناء مروره، واقترابه من المنزل شيئًا فشيئًا، رأى ما جعل قلبه يرقص فرحًا، رأى أمامه الإنسانة الوحيدة التي يريد رؤيتها الآن:

«سعادة»

كانت تحمل عددًا من الأكياس المُمتلئة بالخضروات وهي في طريق عودتها إلى المنزل، كانت أحمالها ثقيلةً، وتبدو على قسمات وجهها علامات المعاناة

من الثقل، ورغم علامات التعب على وجهها، إلا أنّ «حلو» قد ذاب عشقًا فور رؤيتها، مع تداخل الأفكار في رأسه وهو يتساءل، هل عادت إلى المنزل؟؟ أم أنها في طريقها لمنزل والدتها القريب من منزلهما؟؟ كيف تشعر الآن؟؟ ها هي تعود من السوق حاملةً العديد من المشتريات التي تدل على أنها سوف تُعدُّ وجبةً كاملةً، بكلِّ تأكيدٍ هذه وليمةٌ لأكثر من فردٍ، على ما يبدو أنها ما زالت عند والدتها، إنها دائمًا ما تحب أن تعد له السبانخ، اللعنة، إنه يكره السبانخ بشدةٍ، ولكن، لا يهم، المهم الآن أنها أمام عينيه، وها هي فرصته لمحاولة إصلاح ما أفسدته الأيام بينهما وأفسده عدم اهتمامه بها.

في ثوانٍ معدودةٍ كان «حلو» يشدُّ لجام الرنة وهو يصيح بلهجةٍ آمرةٍ:

- ييييييس، ييييييس، هوووووب

توقفت الحيوانات طواعيةً، فقفز من داخل العربة التي اختفت ألوانها البراقة، وأصبحت نسخةً مكررةً من كلِّ عربات الكارو التي تجوب شوارع المدينة بلا رقيبٍ أو حسيبٍ، واتجه بخطواتٍ متثاقلةٍ نحو «سعادة» محاولاً اللحاق بها وسط الشارع الهادئ الخالي من المارة تمامًا كعادة معظم شوارع حي المعادي، وحين اقترب منها قال لها بشاعريةٍ بصوت «بابا نويل:»

- أقدر أساعدك يا مدام؟؟؟

انتفضت «سعادة» وكأنّ صاعقةً من السماء قد ضربتها حيث لم تشعر باقترابه مما أدى إلى سقوط بعض أكياس الخضروات من يدها وتبعثر محتوياتها مما دفع «حلو» إلى الانقضاض على محتويات الأكياس المبعثرة سريعًا مُنحنيًا جاثيًا على ركبتيه مُحاولاً إنقاذ ما يمكن إنقاذه وهو يقول:

- يا دي السبانخ، قُطعت، وقُطع سيرتها.

بينما وقفت «سعادة» متحفزةً وهي تراقب ذلك المُهرج ذا الرداء الأحمر الذي افترش الأرض بجسده المترهل ولحيته البيضاء التي شابتها علامات الاتساخ بفعل السير في الشوارع وسط الأتربة منذ الصباح، وهو يعيد تعبئة ثمار الخضروات داخل الأكياس مرةً أخرى وينهض ليمدَّ لها يده بها وهو يعطيها أفضل ابتساماته ويقول:

- الحمد لله، لميتلك كل الحاجة، بس افتكر السبانخ حتترمي، مش حتنفع، ارميها أحسن.

لم تنطق «سعادة» وهي تمدُّ يدها بحذرٍ لتأخذ منه أكياس الخضروات بتوجسٍ، مما جعله يحاول كسر حالة السكون بقوله:

- تحبي أوصلك بالحاجات دي لحد البيت؟ شكلها تقيل عليكي.

هنا فقط، تحولت «سعادة» إلى كائنٍ مفترسٍ، تغيرت ملامح وجهها وارتفع صوتها حتى كاد «حلو» يقسم أنّ هذا ليس صوت زوجته وهي تصرخ كالمجذوبة في وجهه:

- بيت إيه يا راجل يا واطي يا مُهزأ اللي عاوز توصلني ليه؟ انت فاكر عشان واحدة ست ماشية في الشارع لوحدي حتستفرد بيا؟ لااااا، دا أنا حفرج عليك أمة لا إله الا الله يا راجل يا مُهزأ، . انتوا جنس ملتكم إيه؟؟ مفيش عندكم دم ولا حيا ابدًا؟ ايه السفالة دي؟! يا شاااايب يا عاااايب

ومع استمرار «سعادة» في وصلة الردح اللامنتهية، ظهر الناس من كلِّ صوبٍ وحدبٍ وكأنَّ الأرض قد انشقت عنهم أو كأنهم بزغوا من الفراغ، وتحول الشارع الهادئ إلى نقطة جذب كالمغناطيس لكل مخلوقٍ حيٍّ في محيط كيلومتر مربعٍ.

حاول «حلو» إظهار آداب الحوار وإظهار أي نوعٍ من أنواع التحضر والرُّقيّ، ولكن محاولاته جميعًا ذهبت أدراج الرياح أمام تجمهر الناس من حوله وتداخلهم في الحوار بكل الطرق المشروعة وغير المشروعة.

«ايه اللي انت لابسه ده يا حج؟ انت مجنون يا حج؟»

قالها أحد المتجمهرين.

«في من اللبس ده رجالي يا اسطى؟»

قالها آخر.

«مش عيب عليك وانت راجل كبير وتعاكس واحدة اد بنتك وانت لابس اللبس ده؟ انت عارف احنا حنعمل فيك ايه دلوقتي؟»

قالها ثالثٌ.

«يخيبك يا دي الراجل ، شوفي يا بت يا فاتشن الراجل الشايب العايب لابس إيه وعامل في نفسه ايه؟ يا عيب الشوم على الرجاااالة»

قالتها امرأةٌ عجوزٌ إلى رفيقة طريقها المتّشحة بالسواد.

ووسط ارتفاع همهمة المتجمهرين وسخطهم، ظهر آخر من يتمنى «حلو» ظهوره في هذا التوقيت؛ ضابط شرطة، شقَّ جموع المتجمهرين، وهو يصيح:

- وسع يا جدع انت وهو، إيه؟؟ في إيه؟؟

تطوع عشرات من المتجمهرين في وصف ما حدث بسرعةٍ رهيبةٍ:

«يا باشا كان ماسكها بيبوسها بالعافية وخلصناها من ايده المتوحش»

قالها شخصٌ ما.

«يا باشا خطف شنطة فلوسها وحصلناه في الشارع هنا واخدنا منه الشنطة»

تطوَّع شابٌ ما لوصف تلك الفعلة البطولية.

«يا باشا ده ماشي وراها من الكورنيش لهنا بالعربية وعمال يكلكسلها عشان تركب معاه والست محترمة وفي الآخر نزل من العربية ومد ايده عليها وشدها من الجيبة»

قالها سايس يعمل بالقرب من المكان، وهنا انعقد حاجبي الضابط، وهو ينظر إلى «حلو» الذي أفقدته كمية الأكاذيب والخيالات قدرته على النطق وقال له بلهجةٍ حادة:

- يا سواد ليل ابوك، بطاقتك فين ياض؟؟

امتدت يد «حلو» تتحسس ملابسه التي خلت من الجيوب تمامًا وهو يبحث عن الفراغ في إشارة منه أنه لا يحمل أي اثبات شخصيةٍ، وعاود النظر إلى الضابط بابتسامةٍ بلهاءَ بلا كلمةٍ واحدةٍ، وهو الأمر الذي استوعبه الضابط

على الفور، فقال بحدةٍ:

- كمان مش شايل بطاقة؟؟؟ الله، لأ بجد الله على الإبداع، أنا مش عارف حأعمل فيك إيه بصراحة.

هنا بدأت علامات الفزع تظهر على وجه «حلو» وهو يقول للضابط:

- سعادتك في سوء تفاهم، الحكاية كلها وما فيها إني كنت عاوز اســ...

قاطعه الضابط بعنفٍ:

- انت حتحكيلي حواديت؟؟؟ إخرس، دا انا حخرب بيتك، ماشي من غير بطاقة، وكمان متحرش؟!

ثم التفت إلى «سعادة» وهو يتمالك نفسه مُتحدثًا إليها بهدوء قائلاً:

- ممكن بطاقتك لو سمحتي اطلع عليها؟

استجابت «سعادة» بسرعةٍ إلى طلب الضابط وأخرجت بطاقتها الشخصية التي نظر إليها الضابط سريعًا، ثم أعادها إليها وهو يقول:

- معلش، حنحتاج نعمل محضر، عشان الحيوان ده، أنا النقيب «عمّار محمد» من قسم المعادي.

توتر «حلو» وهو يستمع إلى «سعادة» وهي تقول:

- آه يا ريت نعمله محضر يا باشا، وتحبسوه، كفاية القرف اللي في الشوارع، إحنا مش ناقصين قرف بصراحة.

- اطمني حضرتك، احنا حنعرفه شغله، حنحتاج منك بس زيارة للقسم عشان نقفل المحضر على الساعة تسعة بليل، مجرد إمضاء بسيط واحنا حنضبط المحضر.

استدار الضابط «عمار» وسط الجموع المحتشدة و امتدت يده لتمسك بتلابيب ملابس «حلو» الحمراء، وهو يقول:

- وكمان لابس أحمر، إيه الحلاوة دي؟ ايه العظمة اللي انت فيها دي؟؟ دا احنا يومنا زي الفل ان شاء الله، دا انا حوريك أيام.

ارتعدت فرائص «حلو» وهو يسير إلى جانب الضابط ولا يقوى على الرفض وإلا نهشته الجموع المحيطة، وما هي إلا خطوتان فقط وتذكر «حلو» العربة، حيوانات الرنة، وسيلة عودته، توقف وهو يقول للضابط:

- حضرتك بس، ممكن بس العربية، عشان ما ينفعش نسيبها مركونة هنا.

وأشار إلى العربة التي أحاط بها العديد من الناس وارتكنوا إليها وهم يتابعون المشهد منذ البداية، مما دفع الضابط «عمار» إلى القول بدهشة:

- وكمان كاررو؟؟ الله، الله، تصدق بالله؟؟ انا ارتحتلك و قلبي اتفتحلك، أنا حاسس ان اليوم انهاردة خلاص كدة، مش محتاج حاجة تاني، فين ياض رخص الكاروو؟؟

- رخص ايه حضرتك؟؟

- رخص الكارو ياض؟؟ والا كمان مفيش رخص؟؟؟ والنبي تقول مفيش؟؟ وحياة أبوك ما يبقى ليها رخص يا شيخ.

- لا حضرتك عشان الحلفان، هي ملهاش رخص بصراحة، يا رب تكون انبسطت.

- الله عليك ، الله عليك يا حبيب والديك.

- بس حضرتك دي مش كارو أصلاً!!

- أومال دي ايه إن شاء الله؟؟؟

- دي زلاجة سعادتك.

- يا عيني؟؟ يااا عيني، تلاجة؟؟؟ وانت راكب التلاجة وماشي بيها في الشارع

كدة؟؟؟ طب ده حتى الجو برد لوحده مش محتاج تلاجات، مش خايف تستهوي يا حبيبي؟

- يا باشا بقولك زلاجة، زلاااجة.

انقلبت سحنة الضابط في عنف وهو يصرخ:

- اخرس يا حيوان، وكمان اتناشر حمار؟؟ اتناشر حماااار؟؟؟ في ايه بالظبط؟؟ انت سارق الحمير دي ياض؟

- يا فندم دي مش حمير والمصحف!!

- انت حتستعماني يا روح أمك؟ بتستهزأ بيا قصاد الناس؟ اومال دول ايه؟ زحالف؟

- يا فندم دول حيوانات رنة ثلجية، مش حمير سعادتك.

- اخرس بدل ما اهزقك، انت راجل كبير ما تجيبش لنفسك الضرب قصاد الناس، قال رنة قال، اخرس بدل ما ارنك أنا قلم يفوّقك من اللي انت فيه، انت ضارب ايه بالظبط؟

- بص أنا حفهم سعادتك الحكاية، بس بعيد عن الناس الله يكرمك، ومفيش

داعي للقسم ده خالص، إلهي يستر عرضك.

تحرك الضابط «عمار» وهو مُمسكٌ بملابس «حلو» إلى جانب الطريق وظهرت على ملامحه علامات الاهتمام وهو يقول:

- طب قول كدة، فهمني وتعالى معايا دوغري.

- بص حضرتك، الموضوع بسيط، أنا بابا نويل وكنت جي اشوف مدام سعادة عشان هي محتاجة السعادة، والعربية دي أنا جاي بيها من القطب الشمالي وكان المفروض انزل بيها المعادي على طول بس للأسف نزلت بيها غلط في رمسيس، تقريبًا شحنها خلص، وقعدت ساعة أدور ملقتلهاش مدخل يو إس بي اشحنها منه سعادتك، ومعاييش حتى شاحن ولاعة عربية، واتضـ...

قاطعه الضابط «عمار» بغضبٍ هادرٍ وصوته يكاد يسقط وريقات الشجر من فوق فروعها:

- اخخخخخرررررس، انت بتستعبط يا روح أمك، دا انا حانفخك، ان ما لففتك محافظات مصر كلها، ما ابقاش أنا عمار.

وأشار بعنفٍ إلى اثنين من العساكر المرافقين له، قائلاً بعنفٍ:

- شوفولي الكارو دي فيها ايه؟؟ مخبي ايه الحيوان ده ومخليه عمّال يستعبط؟؟

اتجهت عساكر الشرطة في زيهم الأسود إلى العربة حاملين أسلحتهم، وبدأوا في تفتيشها، حتى انتهوا وقال أحدهم:

- يا باشا مفيهاش غير شوية مسدسات، وسواريخ بس.

انقلبت سحنة الضابط «عمار» بعنفٍ وهو ينظر إلى «حلو» قائلاً:

- يا نهار ابوك اسود ومنيل بنيلة سودة؟؟! مسدسات وسواريخ؟؟! في وسط الشارع كدة عادي؟!!

- يا باشا ورب الكعبة دي لعب، هدايا.

- يا حلاوة يا ولاد، مسدسات وسواريخ وماشي بيهم في الشارع عادي كدة؟؟

- يا باشا والمصحف تاني، لعب، لعب.

- ودقنك دي؟؟؟ لعب برضه؟؟؟ انت اخوان ياض والا سلفي؟؟ والا قاعدة و الا حكايتك ايه؟!

- يا باشا أنا مسيحي أساسًا، فيه بابا نويل سلفي؟!!

- انت إن شاء الله حتشوف معانا أيام زي الفل، كدة خلاص، قُضيت كدة انهاردة، احنا بقى نرجع على القسم نقضي وقت لطيف مع بعض، ونتسلى، انا حاسس اني حاخد ترقية استثنائية بسببك والله، نهارك أسود إن شاء الله.

ثم صرخ في العساكر المرافقين له بحدةٍ:

- هاتوووه على البوكس ولموا الاقماع من الطريق وتعالوا ورايا.

انقض العساكر على «حلو» وسحبوه كما تُسحب النعاج بينما هو يصرخ بصوتٍ رفيعٍ مُكررًا:

- انا باباااا نويييل، انا باباااا نويييل، انا باباااا نويييل.

ومن أمامه تقدم الضابط «عمار» إلى سيارة الشرطة وهو يرد دون أن يلتفت إليه قائلاً بصوتٍ جهوريٍّ:

- وأنا حوس حوس يا لاااااااااااااااااااااا

وانطلقت السيارة بعد أن تكوم بداخلها «حلو» بجسده السمين مُتجهةً إلى قسم الشرطة، ومن خلفه جموع المشيعين الذين انفضوا من حول «سعادة» وتركوها وحيدةً مرةً أخرى وهي تشاهد سيارة الشرطة تبتعد، وقلبها مُنقبضٌ،

وشعورٌ داخليٌ غريبٌ يُلحُّ عليها بشدةٍ، شعورٌ بأنها قد قابلت هذا الشخص سابقًا، أو أنها تعرفه قبلاً...

تعرفه بشكلٍ غريبٍ وقريبٍ.

*****

كانت عقارب الساعة تقترب من التاسعة مساءً حين دخلت «سعادة» إلى رواق القسم تتقدمها أمها، التي كانت في حالةٍ مزاجيةٍ عكرةٍ، وصوتها ينمُّ عن غضبٍ شديدٍ وهي تخاطب زوجها و«سعادة» بصوتٍ عالٍ غير مباليةٍ بالعابرين في رواق القسم قائلةً:

- ما هي لو كان ليها راجل أنيها مكانش حصلها اللي حصلها، إنما حقول إيه؟ شُرابة خُرج ولا ليه لازمة ولا فيه منه أمل، بليتونا بيه إن كان إنت والا بنتك.

قطّبت «سعادة» وهي تتلفت حولها لتطالع نظرات الناس من حولها ثم اقتربت من أمها قائلةً بحدةٍ:

- يا ماما لو سمحتِ، لو سمحت يا ماما قلتلك مليون مرة ما تتكلميش عن حلو بالطريقة دي.

نظرت لها الأم بعدم اكتراثٍ، ثم تابعت:

- مش كنتي كلمتي سبع البُرومبة يجي معاكي القسم طالما محموقة عليه قوي كدة؟ والا فالحة بس تدافعي عنه ووقت المصايب ما تلاقيهوش؟

احمرَّ وجه «سعادة» غضبًا وهي تقول:

- أنا آسفة يا ماما، دي آخر مرة اقولكم على حاجة وحأبقى بعد كدة أتصرف لوحدي، هو في الشغل واتأخر شوية على غير العادة، أنا حتى سايبة الأكل متحضر على السفرة وكنت مستنياه، آخر مرة يا ماما، آخر مرة.

ربَّت الأب على كتف «سعادة» وهو يقول لها بحنانٍ:

- بالهداوة يا بنتي، أمك ما تقصدش اللي بتقوله.

توقفت الأم دفعةً واحدةً وهي تلتفت إلى الأب بشراسةٍ مما جعله يتوقف هو الآخر، وقالت:

- لا، أقصد طبعًا، انت حتقوّلني على مزاجك؟ مش كفاية مجوزها على مزاجك وطاوعتها في جوازة المنكوب على عينه؟ أنا قاصدة، قاصصصدة.

لم ينطق الأب الذي شعر أن الأم على حافة الانفجار، و استكمل الجميع السير حتى وصلوا إلى مكتب الضابط «عمار» بعد السؤال عن مكانه وما أن

دلفوا إلى الداخل حتى استقبلهما الضابط بترحابٍ بعد أن تذكر «سعادة» قائلاً:

- أهلاً وسهلاً أستاذة سعادة، اسمك مميز ما يتنسيش، أهلاً وسهلاً يا حاجّة، اتفضل يا حج، متأسفين جدًا اننا نزلناكم في الجو ده بس معلش بقى محتاجين نخلص إجراءات المحضر وعلى العموم المحضر جاهز أهو وعلى الإمضاء بس، وبرضه حنستأذنك محتاج أبعت أجيب الراجل المهزأ عشان قرفنا طول النهار ولازم يمضي هو كمان على المحضر.

توترت «سعادة» وهي تجيب الضابط:

- أنا اللي متشكرة لاهتمام حضرتك، ويا ريت نخلص بسرعة ونمشي لإني مش عاوزة أقعد كتير.

- لا أبدًا، ثواني ونخلص.

وامتدت يده لتضغط زرًا فوق المكتب دخل على إثر الصوت الصادر عنه في الخارج، أحد المخبرين الأشدّاء وهو يؤدي التحية العسكرية ليأمره الضابط «عمار» قائلاً:

- هاتلي الراجل المجنون اللي لابس أحمر من الحجز بسرعة.

أدى المُخبر التحية وانصرف لتنفيذ الأمر، و ما هي إلا لحظاتٌ حتى عاد وبصحبته «حلو» الذي بدا على ملامحه الإجهاد وتمزقت أجزاءٌ من ملابسه وفور أنْ رأى «سعادة» ارتسمت على ملامحه ابتسامةٌ عريضةٌ ووقف ينظر لها بهيامٍ مما دفع الأم إلى الصراخ فيه:

- إييييييه؟ في إيه يا راجل انت؟

قال «حلو» بصوتٍ منخفضٍ، وكأنه يحادث نفسه:

- إنتي جيتي؟ ان شالله تنطسي رصاصة غلط.

تدخل الضابط «عمار» وهو يقول مُخاطبًا «حلو» باحتدادٍ:

- انت بتقول إيه يا حيوان انت؟ مش كفاية الجنان اللي عاملهولنا في الحجز جوة وسط المساجين.

- يا باشا حرام عليك، دول مرمطوني وبهدلوني، مجرد محاولة حفاظي على الـ الـ الزعبوط كانت محتاجة معجزة جوة، السفلة.

- اخرس بقولك.

- معلش حضرتك بس أنا محتاج اسأل على الزلاجة اللي كانت معايا، ودتوها

فين؟ حيوانات الرنة ما اكلتش من صباحية ربنا اتقوا الله.

- تاني؟ تلاجة؟ ورنّة؟ و كلام فارغ؟ تاني؟ يعني لسة ما اتربتش برضه؟

- إلهي يسترك إرحمني، ريحني بس، العربية فين؟ الحمير فيييين طيب؟!

- موجودين برة وفكناهم منها وأكلناهم.

- فكتوهم منها؟؟ ما طاروش منك طيب؟!!

- هما ايه دول اللي طاروا؟

- الحمير سعادتك.

- الحمير بتطير؟! وانت راكب التلاجة؟ لا لا، انت زي الفل الحمد لله، و الامور دي ما تخششش عليا أنا، بعدين لينا كلام تاني بعد ما نخلص المحضر، حفوق لك بقى، إمضي على المحضر ده وخلصنا.

- أنا مش حمضي على حاجة حضرتك، أنا معملتش حاجة، حتى ممكن تسأل الأستاذة سعادة.

قاطعته الأم بسرعةٍ قائلةً بحدةٍ:

- وانت عرفت اسمها منين بقى إن شاء الله؟

توتر «حلو» مع هذا الخطأ الذي صدر عنه ولم يجد ما يجب به مما دفع الأم إلى الصراخ:

- ده شكله مجرم يا حضرة الضابط ولازم تعدموه، ده شكله بيراقب البت بقاله فترة وخصوصًا إنّ المعدّل جوزها مش فاضيلنا.

صاحت «سعادة» بحدةٍ معترضةص:

- ماما!!!!!!

وانقلبت سحنة «حلو» بغضبٍ وهو يقول:

- مش فاضيلكم ليه يا ترى؟ أكيد إنتي قاعدة معاهم في البيت وهو طفشان بسببك، شكله مش بيحب يتابع حلقات سيد قشطة بتاعة انيمال بلانيت.

هبّت الأم واقفةً وهي تصرخ بجنونٍ:

- سيد قشطة أما يبقى يفرمك يا راجل يا مُهزأ يا حرامي يا مجرم، لازم تعدموه يا حضرة الضابط.

وقف الضابط «عمار» صارخًا في الجميع:

- بـاااااااااااااااااس، ايه ده؟ انتوا في قسم شرطة، كل واحد يحط لسانه

جوة بقه، لو سمحتِ يا حاجّة ما تتكلميش غير أما أطلب منك.

- ما اتكلمش إزاي انت مش شايف الحيوان ده بيقول إيه؟

قال «حلو» بصوتٍ منخفضٍ قصد أنْ يصل لها:

- يا سيدة يا قشطة.

اندفعت الأم ناحيته بغضبٍ لولا أن استوقفتها «سعادة»، واستكمل الضابط صراخه:

- قلت باااااااس، بس يعني بس، هوش، هوس خالص، ولا كلمة، سكووت، صمممت.

سكت الجميع وعاود الضابط الجلوس مرةً أخرى بغضبٍ، وهنا تحدث «حلو» قائلاً:

- أنا حاقول على كل حاجة.

نظر له الضابط «عمار» بغضبٍ قائلاً:

- يا ريت خلينا نخلص.

نظر «حلو» إلى «سعادة» بهيامٍ مرةً أخرى وهو يقول:

- يا بنتي هو انتِ زعلانة مع جوزك؟

هبت الأم واقفةً مرةً أخرى قائلةً بهياجٍ:

- وانت مااال أمك؟؟؟؟؟!

صرخ الضابط:

- وبعديييييييييييين

أكمل «حلو» مُوجهًا كلماته إلى «سعادة»:

- يمكن يا بنتي ما بقتيش سعيدة معاه ومحتاجة منه حاجة يجيبهالك أو حاجة يعملهالك أو حتى كلمة كان بيقولها وبطّل يقولها؟

نظرت له «سعادة» بتوجسٍ ثم قالت بحذرٍ:

- مع أني ما اعرفكش ولا اعرف أنت مالك ومال الموضوع ده، بس لازم تفهم أن الست مننا مش مستنية هدية ولا موقف ولا كلمة عشان تبقى عايشة في سعادة، كفاية قوي قوي من الراجل انه يضحك في وشها لما يشوفها، كفاية إنه يبقى فعلاً سعيد عشان تحس هي كمان بالسعادة في بيتها، كفاية إنها تبقى عارفة إنها محور حياته وإنها أهم حاجة عنده بجد عشان تكون سعيدة،

عمر الهدايا ولا الحركات ولا الكلام ما حققوا السعادة من القلب لأسرة.

وقف «حلو» مشدوهًا بكلمات «سعادة» وهو ينظر لها مستمعًا، ثم ما لبث أن قال لها بتساؤلٍ:

- وجوزك يا بنتي مكانش محسسك إنك محور حياته؟!

أطرقت «سعادة» رأسها بحزنٍ وهي تقول بصوتٍ خافتٍ:

- كان.

شعر «حلو» بغصةٍ في حلقه بينما انتفضت أم «سعادة» قائلةً بحدةٍ:

- انت حتعملنا مُصلح اجتماعي يا مجرم انت؟ إنت مالك ومالنا، الراجل ده لازم يتعدم يا حضرة الضابط.

هبَّ الضابط «عمار» من مجلسه مرةً أخرى وهو يوجه كلامه إلى «حلو» مُحتدًا:

- بقولك إيه يا راجل يا مجنون أنت، خلصني وأمضي على المحضر عشان اخلص من الهم ده، أنا مش فاضي للجنان ده منك والا منها.

نظر له «حلو» قائلاً بتحدٍ:

- مش ماضي على حاجة.

تصاعدت الدماء إلى وجه الضابط «عمار» وهو يقول:

- وماله، لينا صرفة إحنا مع بعض.

وامتدت يده لتضغط الزر فوق المكتب ويدخل على إثره مخبران ليقول لهما الضابط «عمار»:

- خدوه عشّوه بقى عشان جعان.

انتفض «حلو» والمخبران يبدآن في جرِّه خارجًا وهو يقول:

- عشُّوه! دي شكلها ضرب، وأنا مش حسكت، لو حد ضربني أنا مش حاسكت على فكرة.

ثم نظر إلى «سعادة» قائلاً والمخبران يواصلان محاولة سحبه بالقوة و«حلو» يقاوم باستماتةٍ:

- على فكرة، طول عمرك كنت محور حياته، أنا متأكد من كدة، عمره ما فكر في أي حاجة غيرك، بس تلاقيه ملهي في الشغل زي بقييييت الرجاااااالة

وأخيرًا نجح المخبران في سحبه خارج الغرفة وسط صراخ «حلو» وصفق

الباب وراءه تاركًا «سعادة» وعقلها يصرخ بأن هذه الكلمات وهذه الطريقة ليست بغريبة عنها أبدًا.

*****

على جدران حجرة المأمور، أشارت عقارب الساعة إلى الحادية عشر والنصف مساءً، بينما وقف «حلو» وهو يتأوه بين المخبرين داخل الحجرة وهو في حالة يُرثى لها أمام مكتب الضابط، وتبدو على ملامحه كدماتٌ متفرقةٌ تشير إلى تعرُّضه لضربٍ مبرِّحٍ طوال ساعاتٍ مضت دون توقفٍ.

قال الضابط «عمار» وهو ينظر في هاتفه المحمول بانتباهٍ دون أن يلتفت إلى «حلو»:

- ها يا روح أمك؟ مش عاوز تقول انت مين وتبع مين؟؟ سيبك من موضوع محضر التحرش ده عشان ده مش مزاجي خالص، دي حاجة كدة بنعملها عشان نرضي السادة المواطنين في الشارع، خلينا في المهم اللي حيجيبلي الترقية، طيب، المسدسات وطلعت بلاستيك، إنما حجم وتصميم طبيعي وشكلك عاوز تستعملها لترويع المواطنين الآمنين، أدي أول تهمة، والسواريخ، حتستعملها في إحداث حالة من الهرج والمرج والبلبلة وتعتبر في مقام

قنابل صوتية، أدي تهمة تانية، الدقن ثابتة، ومفيش بطاقة، قولنا بقى على اسمك عشان نقفل المحضر خلينا نخلص، وسيبك من موضوع بابا نويل ده عشان مرارتي مش مستحملة، عمومًا أنا مش مروح، نباطشي لحد بُكرة زي دلوقتي، وحكون سعيد جدًا جدًا جدًا اني امرمطك لو ما خلصتناش.

رد «حلو» بصوتٍ يكاد لا يقوى على الخروج:

- تمرمطني؟؟ ده على أساس انكم بتعملولي تاي مساج من الصبح مثلا؟؟؟ حضرتك أنا خسيت أربعين كيلو من الضرب حضرتك، ارحم حتى البشوات اللي بيضربوني، ايديهم ورمت من الضرب والاقلام والشلاليت.

ترك الضابط هاتفه المحمول ، ورفع رأسه إلى «حلو» مُبتسمًا وهو يقوم من مجلسه ويقول بتشفٍ واضحٍ:

- ضرب؟؟ ضرب إيه لا سمح الله؟؟ انت جي مضروب جاهز، احنا حتى خلصناك من إيد الناس اللي كانت عاوزة تفتك بيك في الشارع لولا تدخل قوات الشرطة العقلاء - اللي هما احنا طبعًا - وحافظنا على روحك من الهلاك، شوف الرحمة.

- لا يا راجل؟؟

- اوماااال؟!!! والضرب اللي بتقول عليه ده، لسة حتشوفه أما نوديك المكان إياه، المكان اللي بنبعت فيه الناس اللي ما بترجعش تاني، حبيب قلبي، دا انت بالأحمر ده حتبقى صيدة هناك من أول ما تدخل، دول ما شافوش لون غير الاسود من يجي سنتين.

ظهرت علامات الرعب على وجه «حلو»، أعقبه اندفاع الضابط نحوه مُمسكًا بوجهه وذقنه وهو يقول بعنفٍ:

- انطق قول انت مين يا روح أمك وبلاش شغل المجانين ده بدل ما أطلع البلا الأزرق على جتتك، انطق.

انهار «حلو» من شدة العنف حيث بدأ المخبران المجاوران له الاستعداد لمواصلة الضرب مرةً أخرى في انتظار إشارة الضابط، وقال في صوت يقترب من البكاء:

- انا حقول على كل حاجة، الرحمة، خلاص مش قادر، أنا حقول حقول.

وقف الضابط وشد قامته بفخرٍ، وهو يُعدّل من هندامه ويقول:

- انطق، عشان لو قلت كل حاجة حترحم نفسك، وانا كمان أوعدك أساعدك.

نظر له «حلو» بلامبالاةٍ، وهو يقول:

- بصراحة، حضرتك، انا، مش بابا نويل.

- وأنا كمان مش دراكولا، انما صدقني، حشرب من دمك لو ما نطقتش، انطق خلصني بقول.

- حضرتك، أنا، أنا، أنا اسمي حلو.

تراجع الضابط ليستند إلى طرف مكتبه، وهو يقول:

- كويس، حلو، ومالو، اسمك إيه بقى؟؟

- ما أنا بقول لحضرتك أهو، اسمي حلو.

- وبعدين بقى في الليلة الزفت دي؟؟؟ عرفنا إن زفت اسمك حلو، قولهولنا وخلصنا.

- اسمي الثلاثي يا باشا عشان نخلص حلو جميل خالص.

أطرق الضابط برأسه بوجوم، ونظر إلى الأرض بيأسٍ، ثم عاود رفع رأسه إلى «حلو» وهو يقول بهدوءٍ:

- واضح انك متدرب كويس، ومتعود على الضرب كويس، إنما ما تفتكرش إننا

بنضرب بس؟؟ لا لا لا، خالص، أنا حشوفلك حاجة حلوة، يا حلو، عشان تنطق، مش انت اسمك حلو؟؟؟

اومأ «حلو» برأسه إيجابًا بتضرُّع، وهو يقول:

- وشرف أمي اسمي حلو.

- مصدقك يا حبيبي، اسمك حلو وجميل خالص ، عيني، انا فهمت انت لابس أحمر ليه، وداير في الشوراع بتتحرش بالنسوان ليه، أنا حريحك خالص، تصدق أنا غلطان اني ما اخدتش بالي من الأول؟؟ معلش، عندي أنا دي، أصل بقالي زمان ما شفتش العينات دي.

ونظر إلى أحد المخبرين قائلاً بلهجةٍ ذات مغزًى:

- اندهولي فرج من برة

استيقظت حواس «حلو» بالكامل مع ذكر الاسم، وبدأت خلجاته تتوتر بشدة وهو يحاول الربط بين الاسم الذي ترامى إلى مسامعه وبين ما يدور في مخيلته وبين ايحاءات الضابط غير المفهومة، وقطع تفكيره، دخول «فرج» إلى الغرفة.

مخلوقٌ من عالم ما وراء الطبيعة، ضخم الجثة مفتول العضلات، يحمل شاربًا كثًا عملاقًا اقتطع جزءًا كبيرًا من وجهه الذي خلت قمته من أيِّ شعرٍ، مما جعل «حلو» يتملَّص من يد المخبرين، وهو ينظر إلى «فرج» متراجعًا في خطواتٍ بطيئةٍ نحو الجدار قائلاً بصوتٍ مرتجفٍ:

- يا لهووووي، يا لهوييييييييي، يااااااا لهوي.

قاطعه الضابط:

- لا لا لا، ما تقولش كدة، يا لهوي دي حتقولها بعد ما فرج يعرّفك انت أد ايه حلو زي ما بتقول.

ونظر الضابط إلى «فرج» صائحًا:

- فررررررررررررج

تحرك «فرج» بخطواتٍ بطيئةٍ نحو «حلو» الذي التصق بالجدار وهو يقول بصوتٍ حاول أنْ يتماسك خلاله:

- بس ده مش قانوني على فكرة، الضرب كمان مش قانوني بس تعرف، انا موافق على الضرب عادي، انما ده مش موافق عليه.

تقدم «فرج» خطوةً أخرى، واستمر «حلو» قائلاً:

- طيب أنا عاوز فرج بتاع فيلم الكرنك، ده شكله مش كويس، التاني كان شكله محترم، ده شكله حيوان.

كشر «فرج» عن أنيابه وامتدت يده نحو أزرار قميصه وبدأ في فكّها ببطءٍ، مما جعل «حلو» يرتعد وهو يقول:

- شكل اللي ينطس في سطوره حليمو كان يقصد السندريلا بتاعتنا احنا، مش بتاعة الحواديت، واضح اني حأدي دور سعاد حسني في الزمن المعاصر.

تقدم «فرج» خطوةً أخرى بعد أنْ فكّ كل أزرار قميصه، وامتدت يده وأمسكت بكتفي «حلو»، مما جعل «حلو» يصرخ قائلاً:

- ثواني يا باشا، ثواني.

نظر إليه الضابط بغضبٍ قائلاً:

- استنى يا ابني، خير يا روح امك يا حلو يا جميل؟؟

- ممكن اسأل حضرت سؤال واحد بس، سؤال واحد.

- أؤمر يا حبيبي، نفسك في ايه قبل ما تحلو كمان وكمان؟؟

- الساعة حضرتك.

- نعم يا خويا؟؟؟!

- الساعة كام حضرتك؟؟؟

نظر الضابط إلى ساعته ثم قال:

- اتناشر يا قمر.

- اتناشر بالظبط معاليك؟؟؟؟

- يعني داخلة على اتناشر.

- ممكن تحدد معاليك.

- إلا دقيقة تقريبًا، عاوز حاجة تاني يا حلو، انت يا حلو؟؟

- حاجة واحدة بس حضرتك.

- خير؟؟؟ إيه تاني؟؟ أؤمر يا جميل.

- ممكن تديني دقيقة واحدة مع فرج؟؟

- ياختي جميلة؟؟؟ ليه يا حلوة؟؟؟

- يعني، نتعرف على بعض أكتر.

هبَّ الضابط مُنتصبًا بعنفٍ وهو يصرخ بغضبٍ هادرٍ:

- فرررررررررررررررررج

وهنا انقضَّ «فرج» على «حلو» الذي دفعه بسرعةٍ، وانطلق يجري داخل الغرفة كالمجنون وهو يصرخ بصوتٍ رفيعٍ:

- يا لهوووووي، يا لهووووووووي، يااااااا لهوووي

وقبل أن يطبق عليه الجميع بلحظةٍ واحدةٍ، تغيرت الأشكال من حوله، وتداخلت وامتزجت ببعضها بعضًا، وبدأت الألوان في السطوع مرةً أخرى، لمدة دقيقةٍ أو أقل، حتى بدأت الأمور تعود إلى طبيعتها مرةً أخرى، ولكن، دون أن يكون لـ «حلو» أي أثرٍ، على الإطلاق.

*****

٧

ألوانٌ، ألوانٌ، ألوانٌ

من جديدٍ وجد «حلو» نفسه محاصرًا بالألوان لدقائقَ قليلةٍ، انتهت سريعًا عندما خفتت تدريجيًا ووجد نفسه واقفًا من جديدٍ داخل القبو الكبير المُمتلئ بالكتب، نظر إلى نفسه بسرعةٍ فوجد أنه قد عاد إلى سيرته الأولى، فخرّ إلى الأرض يقبّلها وهو يحمد الله، ثم نهض ينظر حوله ويتحسس جسده بلهفةٍ، فوقع نظره على الكتاب العتيق.

اقترب «حلو» من الكتاب ببطءٍ وهو ينظر إليه نظرة غلٍّ واضحةٍ ثم قال:

- طبعًا حتعمل فيها كتاب براين دلوقتي ومش حتنطق بعد ما تابعت اللي حصل، إنما أكيد اللي حيخليك تنطق تاني أما تعرف إني نويت والنية لله إني

أولع فيك وسط الكتب دي ولا من شاف ولا من دري.

صدر صوت «حليمو» من قلب الكتاب العتيق بهدوءٍ حَذِرٍ قائلاً:

- بصراحة، أنا ما شفتش حظ مهبب كدة طول عمري، عمري ما شفت حدوتة بالشكل ده.

- حدوتة؟؟ بس ما تقولش حدوتة، حدوتة إيه يا بواقي سور الازبكية إنت، ده كان حيبقى تحقيق في صفحة أخبار الحوادث عن أول بابا نويل في التاريخ يخرج من قسم شرطة شايل في ايده عيل، انت كنت مستني إيه؟؟؟ أما نعلن خطوبتنا أنا وفرج وأمناء الشرطة في القسم يبتدوا يوزعوا كوفرتينا؟؟! ده أنا كان بيني وبين الفضيحة مسافة شعر شنبه بس.

رد «حليمو» قائلاً:

- يا ابني إحنا متفقين، اليوم بينتهى اتناشر بليل، مكانش ينفع أتدخل خالص إلا في حالات الضرورة القصوى.

- ودي حضرتك كانت حالات أمراض جلدية مثلا؟!!!

- إفهمني، في الوقت ده، أنا كل اللي بعمله إني بنقل الحواديت زي ما

قلتلك، أنا مجرد ورق بين غلاف.

- تنقل إيه وتهبب إيه؟؟ إلهي ينقلوك اتنين، واحد أعمي والتاني مكسح، انت لو جبت سيرة الحدوتة دي في المستقبل حتتقفش آداب ونسلي حتطارده اللعنات إلى يوم الدين، دي أصلا مش حدوتة، دي قلبت قناة دِش متشفرة في الآخر!!

- لا بس الحمد لله، خلص في الوقت المناسب الحمد لله.

- لا يا شيخ؟؟؟ كنت مِدّها خمس دقايق كمان لحد ما كان فرج أخد غرضه مني وكنت بقيت سِلفة سندريلا بجد، وساعتها كنت حلبس الفستان رسمي يا كتاب فوق تمنتاشر سنة، بس مكنتش حلاقي أمير في أي حدوتة يرضى بيا، في أمير حيرضي بواحد بكرش ولابس فستان؟؟ حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا شيخ.

صدرت ضحكةٌ «حليمو» من قلب الكتاب ثم قال:

- خلاص بقى، عدت، الحواديت ياما بيحصل فيها، وأهي خلصت على خير، والا تكون فاكر إن كل الحواديت حلوة وجميلة، يا ابني ما أنا قلتلك، احنا بس بننقل الجزء اللي يدي للناس أمل ويخليهم يقدروا يكملوا.

- دي حدوتة مهببة، أنا عاوز التسجيل بتاع الحدوتة دي لو سمحت عشان لازم يتمسح وإلا مش حيحصل كويس، ده لو وقع في ايد المستشار مرتضى بتاع السيديهات حيتعمله يوم سنوي للاحتفال بيا.

ضحك «حليمو» مرةً أخرى ثم قال:

- لا، اطمن، ما اتسجلتش، ولا حتتذاع، ده كان موقف مهبب، موضوع السعادة ده طلع صعب، ومحتاج ترتيبات وشغلانة، واحنا عاوزين نستغل الوقت.

انتبه «حلو» إلى الوقت، نظر إلى ساعته فوجدها قد تعدَّت الثانية عشر بنصف الساعة، فقال للعجوز بتساؤلٍ:

- هو الحج عزازي ما نزلش من إمبارح؟؟ ما جاش؟؟؟

- لا، محدش جه.

- غريبة؟؟! الموضوع ده مش طبيعي، انا كدة بقالي أكتر من أربعة وعشرين ساعة كاملة هنا، والراجل ما جاش، الموضوع ده ما يطمنش، الراجل أكيد جراله حاجة !!!

- سيبك من الحج عزازي دلوقتي ونبقى نشوف الموضوع ده بعدين، المهم

خليك معايا، ناوي تعمل إيه دلوقتي؟؟ والا كفاية كدة؟؟؟

شبك «حلو» يديه وراء ظهره وهو يسير في حلقةٍ صغيرةٍ، وتبدو على ملامحه علامات التفكير العميق، ثم توقف مُخاطبًا الكتاب المسحور:

- تعرف يا حليمو، أنا اكتر حاجة افتقدتها مع سعادة بعد الجواز، هي الحاجة اللي كانت مغرقة حياتنا قبل الجواز.

- إيه الفزورة دي؟؟ تقصد ايه بقى؟؟؟

- الرومانسية يا حليمو، الرومانسية ومشاعر الحب، من ساعة ما اتجوزنا والموضوع ده بيقل، ويقل، ويقل، لحد ما اختفى تمامًا من حياتنا، ومحدش فينا سأل عليه تاني، وبصراحة مش عارف العيب من مين فينا.

- يعني أنت محتاج حدوتة رومانسية، قصة مكتملة المشاعر، مش كدة؟؟؟

- بالظبط يا حليمو، أنا محتاج أكون بالنسبة لسعادة مصدر رومانسية، مصدر خام جديد للحب والمشاعر اللي اختفت وأنا أهملتها، محتاج أعرف منها إيه معنى وشكل الرومانسية اللي ممكن ترجعلها الفرحة تاني.

صمتٌ غلَّف المكان للحظات، ثم أعقبه بدء تحرُّك صفحات الكتاب بسرعةٍ

وتتابُعٍ إلى أن توقفت فجأة مع صدور صوت «حليمو» قائلاً:

- تصدق بالله، انت راجل ابن حلال، أنا بين حواديتي قصة واحد من أكتر الناس اللي اتحكى عنهم في تاريخ الرومانسية في العالم لحد يومنا ده.

- استر ياللي بتستر، ناوي تعمل فيا إيه تاني؟؟ المرة اللي فاتت لبستني أحمر وبكرش ونزلتني في رمسيس، المرة دي حتعمل فيا ايه؟؟؟ بكيني وحتطلعلي ديل وتنزلني في العتبة، ما انا عارفك، ما بيجيش من وراك إلا البلاوي؟؟

- يا ابني بلاش غلبة، بالعكس، دا انت حتكون مفتول العضلات، وسيم جدًا، مركز كبير مرموق، حالة كدة ما اتكررتش في التاريخ غير مرة واحدة بس.

نظر «حلو» إلى الكتاب باهتمامٍ وتوجُّسٍ في آنٍ واحدٍ، ثم حسم تردده وهو يتساءل:

- طب، مفيش عربيات كارو طيب المرة دي؟؟؟

- لأ، إطمن، مفيش.

- كرش مدلدل؟ ارداف حلاليفي؟ دقن وطالع لها وش؟

- ولا أي حاجة من الحاجات دي، دي فرصة لقطة، اسمع مني.

- مش عارف ليه مش مرتاحلك، وحيااااة فهرسك يا شيخ، خللي بالك عليا في الموضوع ده المرة دي.

- عيب عليك، ما تقولش كدة.

- تصدق، مش مرتاحلك خالص.

- اخلص بقى خلينا نستغل الوقت، الساعة داخلة على اتنين صباحًا، ياللا عشان تلحق اليوم من أوله.

- استررررر يااااا رررررررب.

ومرة أخرى، بدأت أركان المكان ترتجُّ بفعل الصوت الجهْوريِّ الصادر من قلب الكتاب الذي بدأت أوراقه في التقلب بعنفٍ وبسرعةٍ ومن قلبها يصدر صوت «حليمو» قائلاً:

- كل وقت، وله حدوتة، بس المهم، تكون مظبوطة.

وعادت الألوان إلى السطوع من جديدٍ، وعاد «حلو» إلى التبخُّر مرةً أخرى، واختفى في قلب حدوتة جديدة.

*****

على الرغم من أنَّ عقارب الساعة كانت قد تعدَّت الثالثة صباحًا ببضع لحظاتٍ، إلا أنَّ «سعادة» كانت تجلس على ذات الكرسي المواجِه لباب الشقة وهي تنظر إليه بصمتٍ بعد أن عادت إلى منزلها ورفضت أن تعود مع والديها إلى منزلهما بعد خروجهم من قسم الشرطة.

كانت المائدة ما زالت على هيئتها؛ أصنافٌ متنوعةٌ من المأكولات المُعدَّة بعنايةٍ والمنمَّقة بطريقةٍ جميلةٍ فوق سطح المائدة.

لم يَعُدْ أيُّ صنفٍ مِن تلك الأصناف قابلاً للتذوق بعد أن أصبح باردًا بفعل برودة الطقس، كانت مأدبةً قد تمَّ إعدادها وتوزيعها فوق المائدة بهذا الشكل الجميل تتوسطها الشموع منذ الساعة السادسة من مساء أمس، منذ ما يزيد عن ثماني ساعاتٍ كاملةٍ.

ثماني ساعاتٍ انتظرت خلالها «سعادة» دخول «حلو» بين لحظةٍ وأخرى ولكن دون جدوى.

ثماني ساعاتٍ كاملةً، وهي تفكر، أين ذهب؟؟ ليس من عادته التأخر في العودة إلى المنزل بهذا الشكل؟؟ لماذا لا يستجيب هاتفه المحمول إلى أيِّ اتصالاتٍ منذ الصباح وحتى هذه اللحظة؟؟؟ هل سُرق منه؟؟ هل ضاع؟؟

اذا كان قد قرر أن يسهر مع أصدقائه بالرغم من أن هذه ليست من عاداته، فبكل تأكيدٍ كان سيعود إلى المنزل في وقتٍ أبكر من هذا الوقت، فهو مرتبطٌ بعمله في صباح اليوم التالي، وهو ليس من ذلك النوع الذي يهمل عمله، إنه يعشق عمله، كانت تعلم هذا، كان يسبب لها هذا بعض الغيرة أحيانًا، ولكنها اعتادت مع مرور الوقت.

ولكنْ، أين ذهب حلو؟؟ أين تراه يكون في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل؟؟ أين هو وقد تركها بمفردها لتواجه موقفًا عصيبًا اليوم ؟

بدأت المخاوف تتسرب إلى عقلها مع مرور الوقت مثلها مثل أيِّ زوجةٍ وامرأةٍ مصريةٍ أصيلةٍ، لم تَعُدْ مهتمةً مع مرور الوقت بمكان تواجد «حلو» في مثل هذا الوقت، حيث انصبَّ كامل اهتمامها على السؤال الأهم:

هل هو بخيرٍ، أم لا؟

أخذ السؤال يتردد في عقلها مرارًا وتكرارًا، حتى اتخذت قرارًا هامًّا حاسمًا؛ سوف تتصل بصديقه في العمل مع أول ضوءٍ لصباح اليوم إذا لم يعدْ قبل هذا الوقت، صديقه «عصام»، صديق عمرهما، ليتها تجد لديه إجابةً تطفىء بها نار الخوف التي شبَّت بداخلها وتكاد تحرق قلبها قلقًا على رفيق حياتها،

«حلو».

*****

ألوانٌ، ألوانٌ، ألوان

ذات التجربة التي مرَّ بها «حلو» سابقًا، فقدانٌ تامٌّ للاتجاهات وعدم القدرة على تحديد المكان أو الزمان، دائمًا ما يكون هذا هو شعوره، وفجأةً، تبدأ الألوان بالانقشاع، وتبدأ ملامح المكان في الظهور من حوله رويدًا رويدًا.

ما هذا المكان المتسع؟؟

سؤال ألقاه «حلو» على عقله بينما الضباب الملوّن يختفي تدريجيًا، ومع التطلُّع والتدقيق، اكتشف «حلو» بسرعةٍ أنَّ هذا المكان معروفٌ لديه، بل أنه من الأماكن التي عمل فيها مُسبقًا، ويحمل لها عشقًا خاصًا.

نعم، إنها هي، مكتبة الإسكندرية، المكتبة التي تحتوي على ملايينَ من الوثائق الأثرية، عشقه الأول، بالفعل، هذا هو البهو الكبير، ولكن، ماذا أتى به إلى هنا؟؟!

لم يشغله عن التحقق في المكان وإمعان النظر إليه إلا شعوره ببرودةٍ

شديدةٍ بدأت تسري في أوصاله، وتأتي تحديدًا من أسفل قدميه حتى تصل إلى أعلى الفخذين.

نظر «حلو» إلى الأسفل ليقع بصره على ما جعله يُطلق شهقةً قصيرةً، أعقبها بصرخةٍ رفيعةٍ وهو يقول بهلعٍ:

- إيه ده؟؟؟؟ جيبة؟؟؟ جلد؟؟؟ بُني؟؟؟ على اللحم؟؟؟ في شهر طوبة؟؟؟ وكمان صندل من غير شراب؟؟؟ وأنا اللي مكانش عاجبني فستان سندريلا؟؟؟ حسبي الله ونعم الوكيل فيييييك يا حليييييمو

بدأ «حلو» بالنظر إلى أطرافه وذراعيه اللذين يبدو عليهما القوة والشدة، وبدأ يشعر أنه أطول قامةً.

جال ببصره في المكان المتسع الخاوي من أيِّ إنسانٍ، فوجد انعكاسًا لصورته في الزجاج، اقترب «حلو» من الزجاج ليتطلع إلى هيئته، ثم تحدث مُخاطبًا نفسه:

- هو بغضِّ النظر عن الجيبة الجلد، والصديري الجلد، والصندل الجلد، الهيئة مش بطالة بصراحة، طول عمري نفسي أروح الجيم عشان أبقى كدة بس المشكلة أنه دايمًا بيفتح متأخر، وبعدين كابتن إبراهيم اللي هناك مركز مع

الشباب على تمرينات القطنية وانا ببقى عاوز ألعب بطن.

ظلّ «حلو» ينظر إلى قامته الممشوقة وعضلاته المفتولة لوهلة، قبل أنْ يتساءل بصوتٍ مسموعٍ:

- طيب يا ترى دلوقتي، نحب نتشرف برضه، مين الأخ؟؟؟ اللبس واضح انه حاجة روماني أو إغريقي أو يوناني، بس دول كتير فحت، أنا ضيعت بتاع أربع سنين بدرس فيهم؟؟؟ انت مين فيهم بقى؟؟؟

نظر إلى انعكاس صورته ثم أردف:

- أوديسيوس؟ لا لا، كان بدقن، اكيليس؟ امممم لا برضه كان مطول شعره، هوميروس؟؟ يا عم هوميروس مين دا كان اعمش، اجا ممنون؟؟ لا لا كان تخين، مين يا حلو؟ تطلع مين يا حلو؟؟

وأثناء تساؤلاته، لمح في انعكاس الزجاج شيئًا ما مربوط إلى خصره، لاحظه لأول مرةٍ، نظر «حلو» إلى ذلك الشيء فوجده سيفًا، نزعه من غمده ونظر إليه عن قربٍ ليجد على قاعدته نقوش كتبت بلغةٍ رومانيةٍ قديمةٍ كان يعرفها بحكم عمله، وقرأها على الفور وهو يقول بشرود:

- أنطونيو؟!! مممممم، لا كويسة دي منك يا حليمو، أنطونيو وكليوباترا،

يا سلاام، لا وشوف سخرية القدر، انا في نفس المكان اللي أنطونيو بنفسه كان السبب في حرقه، اهو ساب روما تضرب تقلب وقعد يحب في كليوباترا لحد ما اوكتافيوس حط عليه وعلى كليوباترا وعلى الامبراطورية كلها وبقى أول امبراطور روماني منفرد، يااااه، الله يرحمك يا شيكسبير، غاوي نكد يا شيكس من يومك والله.

ظل «حلو» يدور هنا وهناك طوال ما يزيد عن ساعتين من الزمن حتى تعدت عقارب الساعة الخامسة والنصف صباحًا ببضع دقائق، في الوقت الذي بدأت أنوار الصباح تدخل إلى حرم «المكتبة العظمى» كما كان يطلق عليها قبل الميلاد، وذلك من خلال السقف الزجاجي العملاق، وعلى الرغم من ضوء الشمس البسيط إلا أنّ ركبتي «حلو» بدأتا بالارتعاد وهو يقول:

- جيبة في طوبة يا مفتري، مفيش فايدة، حستهوى حستهوى، طب كنت لبسني كلسون!!

وقف «حلو» عاقدًا ساعديه أمام صدره في محاولةٍ لتخفيف آثار البرودة، وأخذ يتحرك في أرجاء المكتبة بنشاطٍ مُحاولاً إدخال بعض الدفء إلى جسده الذي يكاد يتجمد، وهو ينتظر وصول عمال النظافة الذين يصلون في

السابعة صباحًا ليبدؤوا في تجهيز قاعات المكتبة لاستقبال جولات الضيوف والزائرين التي تبدأ يوميًا في العاشرة صباحًا، معلومات كان يعلمها ببساطة بحكم تردده على المكتبة مئات المرات أثناء شبابه وأثناء دراسته وأكثرها من خلال عمله.

وبالفعل، بدأت أبواب المكتبة الداخلية تفتح وبدأ عاملو النظافة في الانتشار بينما كان «حلو» متواريًا إلى أن وجد اللحظة المناسبة، فانطلق خارجًا من أحد أبواب المكتبة الكبيرة، ومنها إلى الشارع، ليجد نفسه على شاطئ الإسكندرية المزدحم في هذا التوقيت وكل أهلها تقريبًا، ينظرون إليه، ويكادون يفقدون حياتهم...

ضحكًا!

*****

أشارت عقارب الساعة إلى السابعة والربع صباحًا حين ارتفع رنين هاتف «عصام عبدالراضي» وهو ما يزال يتناول فطوره في منزله، أمسك بالهاتف باندهاشٍ وهو يتساءل عن ماهية المتصل في مثل هذا الوقت المبكر.

انعقد حاجباه بشدةٍ وهو يشاهد على شاشة هاتفه اسم «سعادة»، وأجاب

بسرعةٍ واللهفة تطلُّ في كلِّ كلمةٍ من كلماته، فهو لم يتلقَّ قبل منها اتصالاً في مثل هذا الوقت المبكر أبدًا:

- الوو، صباح الخير يا سعادة خير؟؟ في حاجة؟؟؟

- صباح الخير يا عصام، ازيك؟؟ عامل إيه؟؟

- أنا تمام الحمد لله، في حاجة يا سعادة؟؟ حلو كويس؟؟ الحج والحجة كويسين؟؟

توترت خلجات «سعادة» وهي تستمع إلى «عصام» الذي على ما يبدو من سؤاله أنه لا يعلم شيئًا عن «حلو»، ولكنها قالت بسرعةٍ:

- أنا متصلة بيك مخصوص عشان اسألك على حلو يا عصام، حلو ما رجعش البيت من امبارح بالليل، أنا خايفة قوي يا عصام، ما تعرفش هو فين؟؟

تنهد «عصام» بارتياحٍ ، وهو يُجيب:

- يا شيخة خضتيني، بصي، حلو قالي أنه واخد مأمورية أسبوع تقريبًا، الريس عندنا في الشغل كلفه بيها، بس هو ما قالش فين بالظبط، أنما هو فهمني أنه مش حايجي الشغل، يمكن تكون المأمورية مش في القاهرة وسافر مثلاً

يا سعادة.

- طول عمره يسافر صد رد يا عصام عمره ما بات برة البيت أبدًا.

- طب هو ما قاللكيش قبل ما ينزل الصبح هو رايح فين بالظبط؟؟؟

- أصل، أصل انا ما كنتش في البيت، كنت بزور ماما يومين ورجعت ما لقيتوش، ومن ساعتها ما رجعش وبعدين هو مش واخد معاه هدوم ولا حاجة يا عصام.

- بصي، اطمني، ممكن يكون مأمورية يوم ونص مثلاً وهو عارف انك عند ماما، فقال بدل ما يرجع البيت بسرعة، ياخد وقته ويرجع تاني يوم مثلاً يكون خلص، عمومًا، لما يرجع انهاردة طمنيني عليه، وأنا حكلمه على موبايله كمان ساعة كدة لما أوصل الشغل.

- ربنا يخليك يا عصام لو كلمته خليه يكلمني ضروري عشان موبايله مش لاقط خالص.

- حاضر يا ستي، ياللا صباح الفل عليكي.

أنهت «سعادة» المكالمة وقد بدأت بعض الراحة تتسرب إلى نفسها، ولكن

في ذات الوقت، كان هناك شعورٌ خفيٌّ ملازمٌ لها، يصرخ بداخلها طوال الوقت، يخبرها أنَّ الأمور ليست على ما يرام أبدًا.

*****

تسارعت خطوات «حلو» وهو يسير إلى جانب الأسوار التي تواجه بحر الإسكندرية، بينما ينظر إليه الكل بسخريةٍ شديدةٍ، مَن ذلك المجنون الذي يسير في مثل هذا الطقس الذي يقترب من التجمد وهو يرتدي مثل تلك الثياب العارية المضحكة؟

كان «حلو» بالفعل يكاد يتجمد بردًا وهو يخاطب نفسه قائلاً:

- مش حاسس بركبي خلاص، من بعد الركب وانت طالع باظ مني، انا عارف كلها دقايق وحيجيلي برد في المعدة يعقبه اسهال مزمن، حاموت ومش مسامحك يا حليمو، طب كنت ابعتني بشراب تحت الصندل!

استمر «حلو» في السير وقد تعدت الساعة العاشرة صباحًا، كان يتجه إلى لا مكان، لا يعلم كيف سيصل إلى «سعادة»، كيف سيغادر الإسكندرية مُتجهًا إلى القاهرة وهو لا يحمل قرشًا واحدًا؟؟

ظل يفكر لساعةٍ ويزيد، حتى اتخذ قرارًا، استجمع من خلاله كلَّ شجاعته،

توقَّف وسط الطريق، وبدأ في مخاطبة المارة:

- والنبي لو سمحت، محتاج ارجع القاهرة والمحفظة ضاعت.

- روحوا اشتغلوا بقى جتكم الهم والغم مليتوا البلد!

مرَّ رجلٌ آخر:

- بعد إذنك محتاج مساعدة، ممكن فلوس بس اركب أروح؟؟ أنا مش من هنا أصلي.

- مساعدة إيه يا بغل اللي عاوزها؟ دا احنا اللي عاوزين مساعدة، انت مش شايف انت عامل ازاي؟؟ دا انت بغل صحيح!

مرَّت سيدةٌ مُسنةٌ متَّجهةٌ إلى عملها:

- بعد اذنك يا حاجَة، أيّ حاجَة لوجه الله طيب، إلهى تحجّي يا رب، أي فلوس أركب وأروح حموت من البرد، فخادي نملت يا ناااس.

- فخادك؟؟؟ فخادك ايه يا راجل يا قليل الأدب، أنا حفرج عليك خلقه، انا حا ألم عليك عبيدووو .

- لاااا لاااا لااا، أنا آسف، أنا ماشي خلاص، ده أنا كنت لابس بدلة فرو

وبهدلوني، أومال لما يشوفوني بجيبة؟؟؟ آسف يا حاجّة، آسف، سلام.

وانطلق «حلو» مُسرعًا الخطى مُبتعدًا دون أنْ يلتفت وراءه للحظةٍ واحدةٍ وكأنّ شياطين الأرض تطارده.

فشلت خطته، ولابُدّ مِن تصرُّفٍ آخر، لابُدّ من طريقةٍ يعود بها إلى القاهرة.

وفجأةً، قفزت إلى رأسه فكرةٌ أخرى، لم يلبث أن وضعها في موضع التنفيذ الفوريّ؛ اتجه «حلو» إلى أحد الأسواق المزدحمة القريبة من مكان مروره، ودلف إليها وسط نظرات المارة التي امتلأت بالسخرية تارةً والاشمئزاز والامتعاض تارةً أخرى.

وقف «حلو» بالقرب من أحد الباعة، وخلع سيفه من حول خصره، ثم بدأ في الهتاف:

- سيف للبيع، للبيييع، سيييف، يا جماعة اللي عاوز سيف، صلي على النبي، سيف للبيع، ايوووة، ايوة السييف، يا ابو السيووف، قررب قرررب قرررب، السيف السحري، سيف انطونيو، السيف الأصلي، مش صيني ولا مصري.

بدأ المارة يقفون ويتجمهرون حول «حلو» الذي بدأت الأسئلة تنهال عليه:

- بكام ده يا عم؟

- اللي تجيبه يا بيه، ده سيف انطونيو الأصلي وربنا يسامحني على العاملة السودة دي اللي حأعملها في حقّ التاريخ.

- أيوة يعني آخره كام؟؟

- يا ريس اللي تجيبه، كُلك نظر، دي الحتت بتطلع من تحت البيوت في نزلة السمان وبتتباع بفلوس كتير مووووت، والأجانب بيشتروها هوا، ما انت فاهم بقى.

- يعني يمشي معاك خمسة؟؟؟

- يمشي طبعًا، بس معلش انا عاوزهم كاش، ما بخدش شيكات.

- يا سلام؟؟ عيني، ادي اهي حتة بخمسة.

- ايه ده؟؟؟!!!

- خمسة جِني زي ما اتفقنا!!!

- خمسة جنيه ايه يا راجل يا مجنون انت؟ بقولك سيف انطونيو الأصلي تقولي خمسة جنيه، انا عاوز خمس آلاف جنيه.

انفجرت الضحكات من حول «حلو» في كل مكان استنكارًا، حتى إنّ بعض المتجمهرين جلسوا أرضًا لا يقوون على الوقوف من شدة الضحك، بينما أكمل الرجل الذي يريد شراء السيف قائلاً:

- حيمشي معاك خمسة جني والا نمشو؟؟؟

انفجر «حلو» صائحًا في هيستريا وهو يلوّح بيديه في الهواء قائلاً:

- سيف «مارك أنطونيو» بخمسة جنيييه يااا كفرة؟!!

تدخل رجلٌ آخر في الحوار وهو يسأل «حلو»:

- يمشي معاك بعشرة طيب يا برنس؟؟؟

نظر له الرجل الأول وهو يقول:

- خلاص أنا خلصت فيه بخمسة.

لطم «حلو» خديه وهو يقول للرجل صارخًا:

- لا يا خويا، ما خلصتش، ما خلصتش يا ظالم يا مفتري، مش بايع بخمسة أنا.

تدخَّل رجلٌ ثالثٌ قائلاً:

- تاخد عشرين جني وتخلص دلوقتي؟

بدأت الأصوات ترتفع بين المتجمهرين، وبدأت العروض تزداد من هنا ومن هناك حتى وصل سعر السيف إلى مائة وخمسين جنيهًا، قام بدفعها جزارٌ من السوق وأخذ السيف ليستخدمه في متجر اللحوم.

وقف «حلو» ينظر إلى النقود في يده، ثم نظر إلى الجزار المبتعد بالسيف الأثري، وقال مُخاطبًا نفسه:

- لسوف يذكر التاريخ، أن «مارك أنطونيو» وقف في سوق سمك يبيع أعز ما يملك، سيفه، شرفه، عرضه، بمية وخمسين جنيه، وليه كل ده؟؟؟ عشان يركب مكروباص من إسكندرية للقاهرة وينزل موقف مشعل، التاريخ سوف، سوف، يالله، حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا حليمو.

بدأ «حلو» بالتحرُّك من مكان السوق، بعد أن ابتاع عددًا من أرغفة الكبدة من إحدى العربات المنتشرة في السوق، وأخذ يدسها في فمه دسًا من شدة الجوع، تحرك مُنطلقًا إلى الشارع الرئيسي، أشار إلى العديد والعديد من سيارات الأجرة التي رفض أغلبها مجرد التوقف مع مظهر هذا الفحل الذي يرتدي تلك الملابس الغريبة في هذا التوقيت من عمر الشتاء القارص.

ولكن في النهاية، توقفت إحداها ليدخل «حلو» إليها مُسرعًا ناشدًا بعض الدفء، ليبادره سائقها الذي تبدو على ملامحه أنه قد تعدى الستين من العمر بسؤالٍ معتاد:

- على فين العزم ان شاء الله؟؟

- موقف مصر إن شاء الله.

- وإيه اللي انت لابسه ده يا ابني؟

- لا دي حكاية طويلة يا حج، يعني، شغل مسرح بقى وتمثيل وبتاع.

- إيه ده؟؟ هو حضرتك ممثل؟؟؟

- إيه؟؟ آه، ايوة ايوة، ممثل إن شاء الله.

- بس، عرفتك، انت الاستاذ تامر هجرس، صح؟؟

- يا حج تامر هجرس ايه بس؟؟؟

- انت تامر هجرس ومش عاوز تقول عشان المعجبين والزحمة وكدة، صح؟؟

- شوف يا أخي الذكاء، هما كدة سواقين التاكسي ما حدش يعرف يضحك عليهم أبدًا، عفارم عليك، عفارم عليك يا حج كشفتني.

- ياااااه، والله الواحد ما عارف يقول إيه يا أستاذ تامر، إحنا انهاردة عيد والله، ويا ترى الأستاذة يسرا عاملة إيه؟؟

- يسرا مين يا حج؟؟؟!!!

- الفنانة يسرا، مش كنت بتمثل معاها في تمثيلية شربات موز والا لوز باين؟

- ايه؟ آه، تقريبًا، مش عارف، أنت أدرى بقى يا حج، أنا أصلي مش متابع التليفزيون بصراحة.

ضحك الرجل العجوز ضحكةً عاليةً لا تتناسب مع سنه وتدل على أنه ذو صحةٍ ممتازةٍ، ثم أردف:

- والله دمك زي السكر يا أستاذ تامر، احكيلي بقى، الست هند صبري حلوة كدة فعلاً في الحقيقة والا بيبقى ده شغل مِكياش؟؟؟

- مِكياش؟! مممم، هو يوم مش فايت.

واستمرت المحادثة بين سائق الأجرة العجوز وبين «حلو» الذي شعر أنه في غضون لحظاتٍ قصيرةٍ سينقضُّ على الرجل ليمتصّ دمه، ولكنه ظل يتهرب من أسئلته بشكلٍ غير مباشرٍ مستخدمًا إجاباتٍ دائمًا تدفع الرجل إلى القهقهة

بصوتٍ مرتفعٍ، حتى وصل إلى وجهته، شكر «حلو» العجوز وألقفه أجرته مع وعد أنه سيرسل له تلك الصورة الموقعة منه شخصيًا، وأنه سيوصل سلامه إلى الفنانة حلا شيحا بكل تأكيدٍ عندما يراها في بروفات الفيلم الذي يقوم ببطولته حاليًا.

استقل «حلو» إحدى عربات الميكروباص المتجهة إلى القاهرة التي تحركت فور أن اكتمل عدد ركابها الذين كانوا ينظرون بين الحين والآخر إلى ذلك الراكب الذي يجاهد بكل قوته طوال الوقت في شد أطراف التنورة البنية الجلدية القصيرة التي يرتديها إلى أبعد نقطةٍ ممكنةٍ يمكنه أن يُغطي بها ركبتيه المتجمدتين طوال الطريق.

وطوال الطريق الذي استغرق ثلاث ساعاتٍ، كان «حلو» يفكِّر في شيءٍ واحدٍ فقط؛ كيف سيكون لقاؤه بـ «سعادة» هذه المرة؟ كيف سيحمل لها قدرًا من الرومانسية تجعلها تتذكر أيامهما الماضية ومشاعرهما الدافئة؟ كيف سيجبرها على البوح بمشاعرها ورغباتها؟

ظل «حلو» يحاول وضع خطة أثناء الطريق، إلى أن وصلت السيارة إلى ميدان الرماية في الهرم، وهنا خطرت فكرة على عقل «حلو»، لماذا لا يستغل

الوقت، ويترجل هنا، ويستقل سيارة أجرةٍ أخرى إلى المعادي مباشرةً!! توفيرًا لوقت دخول المكروباص إلى الموقف وعدم ضياع مثل هذه الدقائق الثمينة، خاصة وأن الساعة قد تعدت الرابعة مساءً.

وعلى الفور، وضع فكرته موضع التنفيذ وهو يصيح في السائق:

- الرماية معاك يا هندزة.

وفور أن نزل من السيارة، كانت المفاجأة في انتظاره كالعادة، مفاجأةٌ كارثيةٌ.

*****

٨

ارتفع صوت طرقاتٍ على باب مكتب الأستاذ «أحمد عبدالنبي» وكيل الوزارة، مما جعله يقول بهدوءٍ مجيبًا بلهجةٍ آمرةٍ:

- ادخُلْ.

انفرج الباب عن «عصام عبدالراضي» وهو يدلف إلى حجرة وكيل الوزارة وعلى وجهه علامات ابتسامةٍ خفيفةٍ، وأغلق خلفه الباب بإحكامٍ:

نظر له الأستاذ «أحمد» ببشاشةٍ وقال:

- ازيك يا عصام؟ ها؟؟ ايه أخبار الشغل؟؟ كله تمام؟؟

- كله تمام بفضل توجيهات سعادتك يا أستاذنا.

- طيب الحمد لله، خير يا عصام؟

- لا يا فندم خير إن شاء الله، بس أصل في موضوع كدة عاوز اسأل حضرتك عليه لأن الحكاية بقت شوية مُقلقة.

- خير يا عصام في ايه؟؟!

- «حلو» يا أستاذنا، ما رجعش البيت من إمبارح وتليفونه مش لاقط خالص ومراته مش عارفة عنه حاجة، فأنا قلت أجي أسأل حضرتك يمكن يكون عندك إجابة للموضوع ده، وخصوصًا أنه طالع مأمورية بأوامر سعادتك.

- ما رجعش البيت من امبارح؟؟؟ غريبة، لا طبعًا الموضوع كدة مُقلق جدًا، أنا فعلاً بعته مأمورية أسبوع أنما ليها مواعيد محددة، لازم يروّح البيت كل يوم طبعًا، أكيد في حاجة غلط.

- يا ستار يا رب، طيب يا فندم، يعني، هو في إمكانية نعرف مكان مأمورية «حلو» فين عشان نسأل عليه أحسن يكون جراله حاجة هناك يا فندم وأحنا مش عارفين؟

- ممم، آه طبعا مفيش مشكلة، بص، روح دلوقتي على متحف دار الكتب، اسأل عن الأستاذ محمد العزازي، والمفروض شغله مع «حلو»، اسأله وطمني ضروري، ضروري يا عصام.

- حاضر يا فندم، إن شاء الله خير يا أستاذنا، أنا حنزل من هنا حالاً وأطلع على هناك على طول لأن مراته قلقانة عليه جدًا.

- والله يا عصام أنا كمان قلقت، ربنا يستر يا ابني.

استأذن «عصام» من السيد «أحمد» وخرج من غرفته مسرعًا ودقات قلبه ترتفع شيئًا فشيئًا، وعقله لا يكفُّ عن التفكير، وهو يغادر مبنى دار الكتب ويستقل سيارته متجهًا إلى المتحف.

تُرى أين «حلو» الآن؟ أين هو؟ هل هو بخير؟؟؟

ظلّت الأسئلة تتردّد في عقله بلا توقُّفٍ، وقلبه يزداد انقباضًا، دقيقةً وراء دقيقة.

*****

عشراتٌ وعشراتٌ من العاملين في السياحة من أبناء النزلة بجوار الهرم هجموا على «حلو» بمنتهى القوة وهم ينظرون إليه كصيدٍ ثمينٍ، ها هو سائحٌ أبلهٌ يرتدي زيًا أبلهَ ويأتي إلى سفح الهرم لكي يلتقط بعض الصور التذكارية فوق الحصان تارةً وفوق «الكارتة» تارةً أخرى ويتَّخذ أوضاعًا جنونيةً إلى جانب جَمَلٍ جالس يكاد يفتك به من شدة الملل.

بكل تأكيدٍ سوف يتصور عشرات الصور وهو يقبِّل «أبا الهول»، وعشرات الصور الأخرى يحمل فيه الهرمين من قمتهما في يده على طريقة مثلثات الجبن «النستو».

إنهم جميعًا يعلمون كم هو أبله هذا السائح، ولكن «أكل العيش مُرّ»، ولابُدّ من التملُّق والتودُّد إليه حتى يمكنهم الحصول على أكبر قدرٍ ممكنٍ من النقود التي يحملها، هم بكلّ تأكيدٍ تقتلهم الحيرة أين يحمل نقوده ولكن لا يهم، في لحظةٍ ما سوف يجرِّدونه منها، حتى وإنْ جرَّدوه من ملابسه في سبيل بحثهم عن أرزاقهم.

كان الهجوم شنيعًا، بلا رحمةٍ، أحاط به بضع عشراتٍ منهم وكلّ واحدٍ منهم يحاول جذبه باتجاهٍ وهو لا يكاد يعلم ما يحيط به من شدة الدهشة وشدة الجذب وتداخُل الأصوات التي تتصارع عليه وكأنهم ذكور جاموسٍ وحشيةٍ تتصارع في موسم التزواج على أنثى كما يحدث في الغابات الاستوائية المتوحشة.

تعالت الأصوات، حيث قال أحدهم:

- اتفضل يا مستر، اتفضل، «ويل كم»، «ويل كم»، احنا عندنا أجدع أحصنة

في النزلة، اللفة بمتين جنيه، اتفضل، حنكرمك والله.

وقال آخر وهو يجذبه من معصمه:

- حضرتك باين عليك بتفهم عربي، عندي حتت كويسة لقيناها واحنا بنحفر تحت البيت جنب الهرم، تعإلى اتفرج بس وحنتفق، أنا اللي ببعتلك الرسايل.

قال ثالث:

- علاطلاق، علاطلاق من بيتي ما حد حيركبك على الجمل غيري، علاطلاق ما حتركب غير جملي.

صرخ رابع:

- يا بيه، تعال حنطلع بيك الصحرة وحنشربك شاي على الفحم وحنفرجك على حاجات هيلوة، هيلوة كتير.

هتف خامس:

- يا جدعان، الراجل ده جي مخصوص عشان يشتري برديات من البازار عندنا، أنا متفق معاه على كدة، ومديه معاد هنا.

وامتدَّت يده تجذبه من معصمه الآخر، وهنا، انهار «حلو» صارخًا:

- باااااااس، بااااس يا غجر، أنا حبلغ عنكم شرطة السياحة، أنا جي عشان، عشان، عشان عندي عرض تمثيل في المينا هاوس هنا، أنا مصري زيكم ربنا ياخدكم، خدلتولي دراعي ان شالله تنقرصوا.

انفضَّ الجمع من حوله بسرعةٍ مدهشةٍ والكلُّ يندب حظَّه بعد سماعهم للهجته المصرية الأصيلة التي تدل على أنه شريكٌ في ذات الهمّ والغمّ الذي يعيشون فيه ، وأنه بكل تأكيدٍ لا يحمل لهم أيَّ خيرٍ ولا أيّ نقودٍ قد تنفعهم.

استغل «حلو» رحيل رجال النزلة، واستوقف سيارة أجرةٍ قفز داخلها بسرعةٍ، وهو يطلب من السائق الاتجاه إلى المعادي، مما جعل السائق يوجه له سؤالاً:

- معادي دائري؟؟ والا نمشي شارع الهرم كورنيش؟؟

حكَّ «حلو» ذقنه بسبابته وهو يفكر قائلاً:

- لو اخدناها دائري ممكن الحدوتة تقفل عليا، ولو اخدناها شارع الهرم ممكن «يوليوس قيصر» شخصيًا يوصل روما قبل ما أنا أوصل المعادي، بص، اتكل على الله واطلع دائري وربنا يفرجها بقى، وهاتلي راديو مصر والنبي.

أومأ السائق برأسه تلبيةً، وانطلق إلى وجهته التي احتاجت إلى أكثر من

ساعتين من الزمن للوصول إليها.

قاربت الساعة على السابعة مساءً، حين طلب «حلو» من السائق التوقف أمام المنزل المكون من أربعة طوابق الذي يسكنه أهل «سعادة» والقريب من منزله بعد أن دفع له أجرته، نظر إلى نافذة شقه «سعادة» أثناء توجهه إلى مدخل البناية حيث أشارت الإضاءة الخفيفة الصادرة من خلف ستائرها إلى إنهم متواجدين ومجتمعين في ردهة المنزل كالمعتاد.

قفز «حلو» درجات السلم برشاقةٍ وحيويةٍ وفَّرها له جسده الجديد الممشوق، حتى وصل إلى الطابق الثاني حيث منزل «سعادة».

وقف «حلو» للحظاتٍ لكي يستجمع رباطة جأشه، وفكَّر، كيف سيمُرُّ الموقف؟؟؟ إنه الآن بصدد قرع الباب ومواجهة احتمالاتٍ عدّة، تتنوع بين أنْ يفتح والد «سعادة» الباب، وأن تفتح «سعادة» بنفسها الباب وما أجمله من احتمالٍ! وخاتمة الاحتمالات وأسوأها على الإطلاق أن تفتح «أم سعادة» الباب، بكل تأكيد لن تتعرف عليه في شكله الجديد، ولكنها في كلِّ الأحوال مادةٌ خامٌ للعكننة وموردٌ أصليٌّ للهمِّ والحَزَن والكآبة، ولسوف تجعله بكلِّ تأكيدٍ يفكر كثيرًا في محاولة سقيها عُنوةً جُرعةً مُركزةً من سُمِّ الأفاعي الذي

تجرعته «كليوباترا» في الماضي السحيق كي تُخلِّد ذكراها معه.

وقف «حلو» ليضع خطةً سريعةً في رأسه، ويضعها موضع التنفيذ مع امتداد يده نحو جرس الباب ورنّه والانتظار للحظاتٍ مرّت كالدهر وهو يدعو من صميم قلبه أن يكون المجيب «سعادة» بذات نفسها.

ولكنّ القدر لم يكن رحيمًا به، حين طلّ عليه من وراء الباب الاحتمال الأسوأ على الإطلاق، قائلاً:

- خير؟ نعم؟! إيه الزفت اللي انت لابسه ده؟ عاوز ايه؟؟

- خير ازاي بقى؟؟ المهم، مساء الخير يا فندم.

قالها «حلو» مع ابتسامةٍ صفراءَ حاول وضع أكبر قدرٍ ممكنٍ مِن الهدوء فيها في الوقت الذي تفحّصته «أم سعادة» عدة مراتٍ وهي متوجسةٌ منه ومن ملابسه وعضلاته المفتولة المكشوفة وراء ردائه الجلدي الخفيف، مما جعلها تقول:

- عاوز ايه؟؟ أنت مين؟؟

- أنا، أنا، مندوب شركة منتجات طبية وجاي أعرض على حضراتكم منتج

طبي جديد ضد البرد وضد الشعور بالبرد حضرتك وحيساعدكم جامد في فترة الشتا.

- مش عاوزين، الله يسهلك.

وصفقت الباب في وجهه بمنتهى العنف حتى إنّ جدران المنزل ارتجّت، مما جعل «حلو» يستشيط غضبًا، ويمدُّ يده ليطرق الباب مُجددًا، لتفتح «أم سعادة» مرةً أخرى قائلةً:

- مش قولنا مش عاوزين؟؟ ربنا يحنن عليك، ما تبقاش رزيل وغتت.

- يعني ينفع كدة؟؟ حضرتك؟؟ أكون واقف بتكلم وحضرتك، حضرررتك تقفلي الباب في وشي بالشكل ده؟؟ دي أصول برضه؟

- أنت حتعلمني الأدب يا لطخ أنت؟؟؟ قلنا مش عاوزين زفت من اللي بتتنيل تبيعه.

- أيوة بس أنا لازم أعرض عليكم المنتج حضرتك، ولازم أهل البيت كله يشوفوا المنتج، ويُفضّل جوز حضرتك، وبنت حضرتك كمان ضروري تشوفه.

- نعم؟؟؟ وانت عرفت منين بقى إن شاء الله إن البيت فيه جوزي وبنتي؟؟؟

انت بتراقبنا والا ايه؟؟؟

فطن «حلو» إلى خطئه الساذج مرةً أخرى وبدأت علامات التوتر تظهر على وجهه وهو يحاول إصلاح الموقف قائلاً:

- ايه؟؟ لا، حضرتك، أقصد يعني، أقصد أهل البيت عمومًا يتعرفوا على المنتج عشان منتج هامّ.

- فين شنطة المنتجات دي؟؟

- شنطة؟؟ لا ما هو الأول إحنا حابين نعرف رأي أهل البيت من حيث المبدأ وبعدين حاروح أجيب الشنطة وأجي، ممكن أشوف بنتك بقى؟؟

وقفت «أم سعادة» للحظاتٍ تنظر إليه ببلاهةٍ، ثم قامت بآخر فعلٍ توقَّع «حلو» في هذه اللحظة أنْ تُقدِم عليه، فانقضَّت على رقبته مُمسكةً بها رغم قصرها مقارنةً بطوله الفارع، وهي تصرخ بكل ما أوتيت من قوة:

- حرااااااممماااااي.

وفي خلال ثوانٍ معدودةٍ، كان سكان العقار بالكامل يلتفُّون حوله ممسكين به بإحكامٍ، واتَّخذ الأمر منحنًى جديدًا، ومخيفًا.

*****

ظهر الإجهاد على وجه «سعادة» وهي تحاول التقاط أنفاسها أثناء حديثها في الهاتف المحمول خلال اتجاهها إلى منزل والديها وعقارب الساعة قد تعدت السابعة مساءً ببضع دقائق وهي تقول:

- أيوة يا عصام يعني دلوقتي أنت حتعمل إيه بعد ما قالولك هناك إن الاستاذ عزازي بقاله يومين ما جاش؟؟

جاءت الإجابة عبر الهاتف:

- بصي يا سعادة الموضوع ما يطمنش، وأنا قلقان زيك بالظبط، أنا أخدت عنوان الأستاذ عزازي من بتوع الأمن، وعرفت منهم إن مراته تعبانة وأكيد ما جاش بسبب الموضوع ده، وحاروح أشوفه لأنه يمكن يكون يعرف حاجة عن حلو، بس قولي يا رب.

- يا رب يا عصام، يا رب، أنا حموت من القلق، مش قادرة أتلمّ على أعصابي، أنا حتى رايحة اشوف بابا واقوله يشوفلي صرفة، أنا خايفة قوي يا عصام.

وبدأت «سعادة» تنخرط في بكاءٍ حادٍّ وهي ما زالت على الجهة الأخرى من المحادثة مع «عصام» الذي حاول أن يهدأ من روعها قائلاً:

- يا بنتي مالوش لازمة العياط ده، خير إن شاء الله، وبعدين تلاقيه عارف إنك

مش في البيت زي ما لسة حكيالي على مشكلتكم من يومين، وممكن يكون خلص المأمورية وسافر يومين مثلاً تغيير، عارف إنه مش طبعه ، بس برضه ممكن يكون اتهفّ في عقله وعملها ، وقافل موبايله عشان كدة، الرجالة ياما بتعمل يا سعادة، عادي يعني، خير إن شاء الله، بس أنتي خليكي معايا على التليفون، أول ما أوصل وأعرف حاجة من الأستاذ عزازي حكلمك أبلغك على طول.

ردّت «سعادة» من بين دموعها المنسابة على وجنتيها:

- يا ريت يا عصام ربنا يخليك ما تتأخر، أي حاجة، أي خبر بس أطمن أنه كويس ومش مهم أعرف هو فين، المهم بس تتأكد أنه كويس.

أنهت «سعادة» المكالمة بعد وعد «عصام» ببذل كلّ جهدٍ ممكنٍ، وكانت قد وصلت بالفعل إلى منزل والديها، وما إنْ دلفت إلى مدخل العقار حتى تفاجأت بسكان المنزل وهم يهبطون الدرج مُمسكين بـ «حلو» في هيئة «انطونيو» وهم يقتادونه إلى قسم الشرطة ومن خلفهم «أم سعادة» التي لا تتوقف عن الصراخ بكل ما أوتيت من قوةٍ قائلةً:

- حرااامي، حرااامي، حراامي يا «سعادة» كان جي يدبحنا أنا وأبوكي،

حرااامي بيراقبنا من شهر وعارف اننا قاعدين لوحدنا وجي يدبحنا يا ختاااااي، إلحقووونا يا نااس ، إلحقووونا يا رجااالة.

- في إيه يا ماما؟!!!

- اهو زي ما انتي شايفة، حراامي ربنا نجانا منه، حنوديه القسم حالاً.

وقف «حلو» يحاول التملُّص من الأيادي العديدة التي أحاطت به إحاطة السوار للمعصم وهو ينظر إلى «سعادة» بوَلَهٍ وعشقٍ يتقاطر من عينيه، ورغم التفاف عشرات الأشخاص حوله، إلا أن ذلك لم يمنعه من النظر إلى «سعادة» والابتسام بحُبٍّ قائلاً:

- أستاذة سعادة، إزيك؟

صرخت «أم سعادة» صرخةً فجّرت الموقف قائلةً:

- انت كمان عارف اسم بنتي؟؟؟ يا لهوتاااااااااي، الحقونا يا أهل هوووو، ده سيريال كيلر، بشوفهم في الام بي سي اكشن، ده طلع مش حرااااامي يا ختااااااااي ، ده طلع سفاح قتّال قُتلة.

نظر «حلو» لها وعضّ على شفتيه قائلاً:

- آهٍ! لو كان سيفي ما زال في خصري يا ولية يا بومة إنتي، ولم يكن ذلك الجزار قد سلبني إياه مقابل حفنة من المال، تالله لكنت شندلتك شندلة أكيليس لهيكتور في ملحمة الإلياذة.

قفزت «أم سعادة» من فوق الدرج لتتعلق في رقبته وهي تصرخ بجنونٍ:

- سيف؟؟ بتقول سيف؟؟ سامعين؟؟ حيدبحني، ويدبح جوزي، ويدبح بنتي، سامعين قتّال القُتلة بيقول إيه؟؟ يا ختاااااااااااااااي.

ارتفعت الهمهمة الغاضبة بين المحيطين بجسد «حلو»، في اللحظة التي عاد هو للنظر مرةً أخرى إلى «سعادة» بعشقٍ قائلاً بلهجةٍ مسرحيةٍ قويةٍ رومانسيةٍ ألجمت ألسنة الجميع:

- أنا أنطونيـو وأنطونيو أنا ما لروحيْنا عن الحُبِّ غـنى

غنّنا في الشوْقِ أو غنْ بنا نحنُ في الحبِّ حديثُ بَعْدنا

الحيـاةُ الحُبُّ والحبُّ الحياة ومن سرْحاتها سرُّ النـواهْ

وعلى صحرائـها مرّت يـداهْ فجَـرَتْ مـاءُ وظلا وجنــى

نحـنُ شعرُ وأغانيُّ غـدا بهوانا راكبُ البيـدِ حــــدا

وبنـا الملّاحُ في اليمّ شدا وبكى الطّيرُ وغنّى مَوْهِــــنا

من يكُنْ في الحُبِّ ضحّى بالكَرَى أو بِمسفُوحِ من الجمعِ جرى

نحنُ قربنا له مُلكَ الثرى ولقينا الموتَ فيه هيّـــــنا

أنا أنطونيو وأنطونيو أنا ما لروحيْنا عن الحُبِّ غِــنى

صمتٌ تامٌ أصاب الجميع، تيبُّس كاملٌ وكأنَّ المشهد قد تحوَّل إلى صورةٍ ثابتةٍ، وقف الجميع فاغرًا فاه وهو ينظر إلى «حلو» الذي تركز بصره على حبيبته «سعادة»، وهي تنظر إليه بذهولٍ مُحاولةً استيعاب وقع تلك الكلمات عليها، ثم ما لبث أن قطع الصمت صرخة أم «سعادة» الهادرة:

- يا خرااااااابااااااااااي، مخبووول، بيعمل مجنون عشان نسيبه، امسكوووه، بينا على القسم يا قتّال القُتلة يا سفاااح

وقالت مُحدِّثة"»سعادة» بلهجةٍ آمرةٍ:

- اطلعي انتي لأبوكي فوق عشان ساياه نايم والسبانخ على البوتجاز بدل ما الشقة تولع، صحيه وحصلوني على القسم وأنا حاسبق مع الجيران يا ختاااااااااااااي

أفاق الناس على صرختها، وبدأوا في سحب «حلو» بجسده القوي خروجًا من البيت في الوقت الذي لم يكن «حلو» مُهتمًا على الاطلاق إلا بالنظر إلى «سعادة» معطيًا إياها أفضل ابتساماته الوسيمة ونظراته العاطفية وهو يقول لها بصوتٍ مرتفعٍ أثناء ابتعاده عن باب البيت:

- العمرُ لا يُمكن أن يُذبل جمالك أبدًا.

وابتعدت الحشود وهي تقود «حلو» نحو قسم الشرطة، بينما وقفت «سعادة»، وعلامات الذهول والحيرة ترتسم بأقصى صورها على وجهها، وقلبها؛ قلبها الذي خفق كما لم يخفق بهذه الطريقة إلا مع شخصٍ واحدٍ فقط، شخصٌ واحدٌ يستطيع أنْ يجعلها تشعر بمثل هذا الشعور، ولكنْ كيف وهو الآن أبعد ما يكون عن هذا المكان؟

لم تعلم أنَّ هذا الشخص، كان منذ لحظاتٍ قريبًا منها، أقرب من أيِّ وقتٍ مضى.

*****

- هو جرى إيه في أم البلد دي؟؟؟

قالها الضابط «عمار» الجالس من وراء مكتبه وهو يكاد يحطم المكتب بقبضته وأمامه وقف عددٌ كبيرٌ من سُكّان العمارة يتوسطهم «حلو» في زي وهيئة «انطونيو»، وأكمل قائلاً:

- إمبارح واحد لابس أحمر في قلب القسم وبعدين يهرب، واتحوِّل أنا للتحقيق، وانهاردة واحد جايلي بجيبة جلد في عز الشتا والناس بيقولوا عليه قتّال قُتلة؟؟، انتوا إيه؟؟؟ جرى إيه فيكي يا بلللللد؟؟؟ المعادي باااااظت خلاااص؟!!

كادت عروق الضابط «عمار» تنفجر من فرط الانفعال، بينما وقف «حلو» بقامةٍ ممشوقةٍ وهو ينظر إليه بتوجُّسٍ ولا يكاد يقوى على رفع عينيه فيه، إلى أن سأله الضابط مرةً أخرى:

- إنت مين يالا؟؟ وحكايتك إيه؟؟؟ ولابس كدة ليه؟؟؟ انطق عشان أنا على آخري، بقالي أكتر من تلات ساعات عمال أسمع في الولية دي وباقي الناس اللي معاها ومش فاهم حاجة خاااااالص؟؟؟ انطق عشان ماخليش ليلتك سودة.

تنحنح «حلو» ونظر بجانب عينيه إلى عقارب الساعة في يد أحد الواقفين

ليجدها قد تعدت الحادية عشر مساءً ببضع دقائق، مما جعله يفكّر بسرعةٍ ويبدأ في محاولة كسب أكثر وقتٍ ممكنٍ قائلاً:

- طيب، هو حضرتك ما بتشبهش عليا؟؟؟

نظر الضابط إليه وهو يُقلّب في وجهه ثم قال بعنفٍ:

- انا ما شفتش السحنة دي قبل كدة، ولا اللبس ده، ومش عاوز غير أنك تنطق بعد كل الهري اللي قالوه ده وتخلصني، انت مين؟؟؟ انطق.

تدخّلت «أم سعادة» بحدةٍ وهي تصرخ:

- أيوة، أيوة، ده شبه الراجل اللي بيطلع في فيلم «هالووين» اللي بيقتل الناس بالسكينة في العيد الكبير يا سعادة الباشا، ده سفاح أصلي وباين عليه أهو، ضخم الجثة وعريض المنكفين.

صرخ الضابط «عمار» بجنونٍ:

- بسسسس يا ولية إنتي، من ساعة ما شفتك إمبارح وانتي ما بطلتيش كلام وأنا مش فاهم حاجة، مندوب مبيعات أيه؟ وسيريال كيلر إيه؟ وسيف أيه؟ وبيراقبكم إزاي؟ وفين؟ وأمتى؟؟ بس، بااااااس، إنتي إيه كل يوم حتجرجريلي

واحد من الشارع وتيجي على هنا؟؟ إيه؟؟ ما بتسكتيش؟ ما بتزهقيش؟؟

قال «حلو» بسرعةٍ:

- طول عمرها كدة والله سعادتك، أما جوزها قرب يفقد النطق، وبقى بيشاور بس دلوقتي.

صرخت «أم سعادة»:

- أهو، أهو اعترف، اهو عرف أن جوزي مش طايقني، طب عرف منين بقى بالذمة؟؟؟ بيراقبنا بقولك سعادتك.

صرخ الضابط مرةً أخرى:

- باااااااااس، اخرسوووا، قسمًا بشرفي، قسمًا بشرفي، إللي حينطق من غير ما أوجه ليه سؤال لحدخله الحبس للصبح، أما يبانله صحاب، ده مفيش كلب فيكم معاه بطاقة يا غجر، حتى الولية المكعبلة دي.

صمت ساد في الغرفة لأول مرةٍ منذ ثلاثِ ساعاتٍ، مما جعل الضابط «عمار» يأخذ نفسًا عميقًا ويُطلقه في صورة زفرةٍ حارّةٍ غاضبةٍ قائلاً لـ «حلو»:

- إشجيني، فهمني يا، يا، يا ترى اسم فخامتك إيه؟

- أنا؟؟ ممم، أنا، أنا إسمي انطونيوس

- ثلاثي يا روح أمك.

- روح أمي اسمي، مارك أنطونيوس، أو ماركس أنطونيو، وممكن تمشيها مرقص انطونيوس.

- لا يا راجل؟؟؟ وهو ده بقى اسم ثلاثي؟؟؟!!

- لا بس أنا مش حافظ غير الاسمين دول بصراحة، جده مش مشهور قوي.

- جد مين؟؟

- انطونيو.

- انطونيو مين؟؟؟

- انطونيو صاحب اوكتافيوس اللي كانوا في جيش يوليوس قيصر قبل ما يغزُه بروطس بالسكينة في ضهره.

بدأ وجه الضابط بالاحمرار، وبدأت عيناه وكأنهما شعلةٌ منتقاةٌ من أحجار الحجيم، وبدا على ملامحه غضبٌ مُتصاعِدٌ جعل الجميع بما فيهم «حلو» يتراجعون لخطواتٍ قليلةٍ خشية انفجاره فعليًا وحرفيًا.

ولكنَّ طرقًا على باب المكتب قطعت لحظات الغضب، حين أعقبها دخول أحد المخبرين إلى داخل المكتب مؤديًا التحية العسكرية للضابط وهو يقول:

- برة في واحدة اسمها الأستاذة سعادة و معاها أبوها يا باشا.

صرخت «أم سعادة» بفرحٍ:

- بنتي حبيبتي، جاية تلحق أمها من السفاح المجرم السريال كيلر، دخلوها بسرعة.

صرخ الضابط «عمار» بحدةٍ:

- بس يا وليه انتي، قلت مش عاوز نفس.

ثم نظر إلى المخبر قائلاً:

- دخلهم خلينا نخلص من الليلة المبهوَقة دي.

وبالفعل دخلت «سعادة» ووالدها إلى حجرة الضابط الذي استقبلها قائلاً:

- مساء الخير يا أستاذة سعادة، يا ريت نخلص من الموضوع ده بسرعة لأن امبارح مكانش يوم لطيف وأنا بتشائم بصراحة.

- متأسفين حضرتك على الإزعاج ده، إحنا مطلوب مننا إيه؟

- بطاقة الست الوالدة عشان نعمل محضر ونقفله.

مدَّتْ «سعادة» يدها بالبطاقة إلى الضابط الذي تلقفها دون أن يتفحصها ثم نظر إلى «حلو» قائلاً:

- بطاقة معاليك وكارنيه شركة المبيعات خلينا نخلص يا انطونيو بيه.

تجاهله «حلو» تمامًا وهو يتطلع إلى «سعادة» قائلاً:

- هو حضرتك يا أستاذة سعادة زعلتي من كام بيت الشعر اللي قلتهم لحضرتك؟

احمرَّ وجه «سعادة» وتوترت ملامحها قبل أن تجيب:

- لا وأنا حزعل ليه يعني؟ أهو كلام.

ابتسم «حلو» قائلاً:

- بس أكيد الكلام الرومانسي العاطفي له تأثير كويس على الستات، وأكيد جوز حضرتك مُقصّر في التعبير بالكلام عن مشاعره زيه زي كل الرجالة المتجوزين.

تدخلت «أم سعادة» قائلةً:

- انت كمان مراقب جوزها؟؟ إلهي يوعدك بعشماوي إنت وهو في حبل واحد.

قالت «سعادة» بحدةٍ:

- ماما!!!!! أرجوكي قولتلك مليون مرة مش كدة!!!

قاطعها «حلو» قائلاً:

- واضح أني كان عندي حق، وفي تقصير، مش كدة؟

ازداد وجه «سعادة» احمرارًا ولكن هذا لم يمنعها من مواصلة الكلام قائلةً بغضبٍ:

- على الرغم من إنها حاجة ما تخصكش، إنما لازم تفهم إن العواطف والرومانسية مش مجرد كلام بيتقال ويتردد وخلاص، نظرة العين للست وهي بتناول الراجل كوباية الشاي ممكن تغرقها رومانسية، لمسته ايديها وهي بتناوله كيس الزبالة الصبح مع ابتسامة برضه رومانسية، صبه للمية من الازازة في كوباية و مناولته ليها وهما على الغدا مع بعض أحلى رومانسية، الحكاية مش دايمًا شِعر وورد وقمر وتنهيد، اللي بيحب بيعيش حياته بضحكة واحدة، وابتسامة ما بتتغيرش، لأن قلبه أخد من الدنيا كل اللي هو عاوزه، شريك

حياته.

تحجَّر «حلو» وهو يستمع إلى كلمات «سعادة» التي افقدته القدرة على النطق، شعر بحنينٍ شديدٍ لها، شعر برغبةٍ عارمةٍ في ضمها إلى صدره فورًا، قفز العشق والوله من قلب نظراته لها، حتى إنها لاحظت هذه النظرات فتوترت خلجاتها بشدةٍ مع استمرار احمرار وجهها، وقطع حبل الصمت مرةً أخرى أمها وهي تصرخ قائلةً:

- مجنووون يا حضرة الضابط، سيريال كيلر بقولك.

هبَّ الضابط «عمار» من مجلسه بحركةٍ حادةٍ مُخاطبًا «حلو» قائلاً:

- انت حتعملي صالون ثقافي هنا يا روح أمك؟؟ إطلع بالبطاقة خليني اقفل المحضر وأقفل الليلة السودة دي على دماغتكم.

ولكنَّ «حلو» كان لا يزال ينظر إلى «سعادة» بعشقٍ، غير عابئٍ بكل من يحيطون به أو بصرخات الضابط الجنونية، مما دفع الضابط إلى ضغط الزر فوق مكتبه ليستدعي المخبر الذي دلف إلى حجرته على الفور بصحبة مخبرٍ آخر، قاموا بأداء التحية العسكرية إلى الضابط الذي لم يبادلهما التحية حيث قال بغضبٍ:

- فتشوا الحيوان ده عشان عامل أخرس، وطلعولي كل اللي معاه.

امتدت يد المخبرَيْن ناحية «حلو» الذي تراجع بحركةٍ حادةٍ وهو يدفع المخبرين صائحًا:

- محدش يمد إيده عليّ، أنا أصلاً معاييش حاجة ومعاييش جيوب أشيل فيها حاجة، مفيش بس غير خمسة وسبعين جنيه حاططهم في الصديري عشان كنت راكب بيهم، أهُم.

ومدَّ «حلو» يده داخل صدره وأخرج النقود ووضعها على مكتب الضابط الذي نظر إليه بغضبٍ قائلاً:

- يا حلاوة يا حلاوة، حاطط الفلوس في صدرك؟؟ ولابس جيبة جلد؟؟؟ وكت من فوق؟؟ ومش عاوز تقول اسمك؟؟ ومش عاوز تطلع البطاقة؟؟؟ ليلتك طين إن شاء الله، فتشوووه بالعافية وطلعولي اللي معاه

جاءت انقضاضة المخبرين على «حلو» مُفاجئةً تمامًا، ولكنه بلا وعيٍ أو إدراكٍ، استقبل الانقضاضة بحركة دفاعٍ عن النفس أعطته انطباعًا أنه مُدرَّبٌ عليها فور أن وجد المخبرين قد انطرحا أرضًا بعنفٍ، وهنا تجمَّد الموقف للحظاتٍ قليلةٍ، قبل أن تُفجِّره «أم سعادة» بانقضاضةٍ على ظهر «حلو»

متعلقةً بعنقه من الخلف وهي تصرخ بجنونٍ:

- حرااااااامي، حراااااامي، سفاااااااح

أخذ «حلو» يقاومها حتى سقطت أرضًا بعنفٍ، ولكنّ الجيران بدأوا في محاولة الانقضاض على «حلو» مُدعّمين بالمخبرين والضابط «عمار»، مما جعل «حلو» يهرب إلى طرف الحجرة ويعتلي أحد كراسيها ويقف فوقها مُراقبًا عقارب الساعة التي اقتربت من الثانية عشر، صارخًا بلهجةٍ مسرحيةٍ مجنونةٍ وهو يشير إلى «سعادة» قائلاً:

- حبيبتي يا كليوباترا؟ تعالي شوفي النصيبة اللي أنا فيها، ها أنا ذا محاطٌ بالأوغاد من كل جانب، وخاصةً رأس الأفعى السامة اللي قارفاني من يوم ما عرفتك، أين أنتي يا كليوباتراااااا؟؟؟

صرخت «أم سعادة» بجنونٍ وهي تقول:

- المجنون أبن المجنونة بينده على علبة سجاير يا حضرة الظاااابط، اقتلوووه بيعمل مجنووووون.

صرخ «حلو» قائلاً:

- يا أيَّتُها البومة اللعينة، ما هي إلا لحظاتٌ وينتهي زمني، داعيًا عليكي بخزق العين والنني.

وقبل أن تنطق «أم سعادة» بكلمةٍ واحدةٍ، تغيرت الأشكال من حوله وتداخلت وامتزجت مرةً أخرى ببعضها بعضًا، وبدأت الألوان في السطوع مرةً أخرى، لمدة دقيقةٍ أو أقلّ، حتى بدأت الأمور تعود إلى طبيعتها مرةً أخرى، ولكن، دون أن يكون لـ «حلو» أيُّ أثرٍ، على الإطلاق...

مرةً أخرى.

*****

٩

- يعني إيه يا عصام معرفتش تقابل الحج «عزازي»؟

كان هذا هو سؤال «سعادة» باستنكارٍ واضحٍ أثناء طريق عودتها من القسم بصحبة أمها وأبيها وهي تخاطب «عصام» عبر الهاتف، كان «عصام» في طريقه إلى منزله بعد نزوله من بيت الحج «عزازي» ومعرفة حالته الصحية من ابنته «سلمى» وزوجته وأنه طريح الفراش في المستشفى منذ يومين كاملين ويحتاج إلى راحةٍ تامةٍ، مما دفع «سعادة» إلى الانفعال رغمًا عنها حيث شعرت أنها بصدد فقْدِ آخر طرف خيطٍ يدخل الطمأنينة على قلبها بخصوص أي معلومةٍ عن مكان تواجد «حلو» الذي انقطعت أخباره تمامًا، وأعقبت سؤالها بسؤالٍ آخر:

- يعني يا عصام دلوقتي مفيش طريقة نعرف من الحج عزازي ده آخر مرة

شاف فيها حلو كانت إمتى؟؟

- بصي يا «سعادة»، بنته قالتلي أنه ابتدى يستجيب للعلاج اللي بياخده، وإن الدكتور طمنهم أنه متوقّع يستعيد وعيه خلال أربعة وعشرين ساعة إن شاء الله بعد ما نتايج التحاليل اتحسنت كتير.

- طيب يا عصام دلوقتي أنت حتروح تاني بكرة والا أروح أنا؟؟

- لا أنا ولا أنتي ، أنا أخدت نمرة بنته سلمى، وأول ما حيفوق حتسأله بعد ما فهمتها أن الموضوع مقلق فعلاً، وحتكلمني فورًا، وأنا كدة كدة حكلمها بكرة الصبح اسأل تاني، وحسأل كلّ ساعة لحد ما نعرف هل الراجل عنده معلومة والا لأ.

توترت «سعادة» بشدةٍ وهي تقترب من منزلها وقالت:

- يعني أنا حافضل كدة لحد بكرة؟؟ ما اعرفش عنه حاجة؟؟؟ أنا حموت من القلق يا عصام، حموت.

وبدأت نبرتها تدل على أنها سوف تدخل في نوبة بكاءٍ مرةً أخرى، مما جعل «عصام» يبادرها بقوله:

- يا ستي الصبر، من هنا لبكرة الصبح مش كتير، الساعة عدت تلاتة صباحًا،

ده أنا فضلت مرابط قصاد باب البيت عندهم مع البواب لحد ما أهله جم من المستشفى يا دوب من نص ساعة، بصي، كام ساعة زمن ونعرف راسنا من رجلينا، وإن شاء الله خير، اطمني بس وادعي ربنا، ياللا خشي نامي، تصبحي على خير.

أنهت «سعادة» المكالمة والدموع تكاد تتفجر من مُقلتيها، ورفعت عينيها نحو السماء قائلةً بكلّ خشوعٍ وأملٍ ورجاء:

- يااااااا رب.

وقلبها يخفق بمنتهى العنف.

*****

ألوانٌ، ألوانٌ، ألوانٌ

مرةً أخرى وجد «حلو» نفسه محاصرًا بالألوان لدقائق قليلةٍ، انتهت سريعًا عندما خفتت تدريجيًا ووجد نفسه واقفًا من جديدٍ داخل البهو الكبير المُمتلئ بالكتب، ليُطالع صفحات الكتاب العتيق الذي اتّخذ قمة تلٍّ من الكتب مكانًا، دون أن تصدر عنه أي لفظةٍ أو حركةٍ.

اقترب «حلو» من الكتاب بعد أن عاد إلى هيئته الأصلية قائلاً:

- والنبي إنت مش مكسوف من نفسك؟؟ مش ناوي ترحم اللي جابوني من عمايلك السودة دي؟؟ يعني أنا لو مسكتك فرتكت جلدتك دلوقتي تفتكر أبقى غلطان؟

صدر الصوت من قلب الكتاب قائلاً:

- يا حلو قُلتلك بصراحة انت اللي حظك وحش.

- حظ ايه يا كتاب العجزة أنت؟ ملبسني جيبة جلد في نوّة إسكندرية وتقولي حظ؟؟ باعتني من غير بوك فلوس فيه خمسة جنيه فضة حتى على بعض وتقولي حظ؟؟ أنت قاصد تذلني يا حليمو، قول آه، قوول.

- يا ابني والله أبدًا، هي ظروف الحواديت كدة، الأبطال ما بيتخلقوش من الفراغ يا «حلو»، وكل واحد فيهم بيبذل مجهود كبير عشان يسعد اللي حواليه.

- أيوة أيوة فعلاً، أنا كنت ببذل مجهود كبير أول مرة أني أهرب من العار ومن فرج، والمرة التانية كان في عمارة بحالها عاوزة تفتشني تفتيش ذاتي وأنا لابس جيبة على اللحم، وكله كوم والولية الحرباية أم سعادة، يا ليت كان

سيفي معي، يا خسااااارة، عمومًا، أنا مش لاعب، كدة شكرًا، لإني بصراحة داخل على نزلة شُعبية حادة احتمال تقلب معايا بسُل، لأنك أكيد المرة الجاية حتبعتني الاسكيمو بملاية.

- يا ابني أنت اللي بتختار الهدف، وأنا ما عليا إلا اني اسخرلك شخصية الحدوتة، ده أنطونيو ده كان أكبر قائد قوي رومانسي في التاريخ، ده باع الدنيا كلها عشان حبيبته، غلطش أنا؟؟

- غلطش؟؟؟ روح يا شيخ ربنا ينتقم منك ده أنا كعوب رجليا شققت من الساقعة والمشي في برك المطر، البرد دخل في عضمي بهدلني، مش حاسس بركبي، وعصعوصتي منملة تمامًا.

- خلاص خلاص، المرة الجاية نعمل حساب الجو، والمواصلات، والفلوس، نشوفلك حاجة متكاملة .

- جو ومواصلات وفلوس ونشوفلك؟؟ أنت بتكلمني أكنك بتكلمني عن شقق إسكان الشباب!! أنت كتاب والا كراسة شروط بس عشان أفهم؟ إيه الاستفزاز ده؟!!!

- أنا بس عاوز أساعدك، بس تعرف، المرة دي كان في تطور ملحوظ، خدت

بالك من وش «سعادة» لما قلتلها الشعر والكلمتين الحلوين بتوعك؟؟

نظر إليه «حلو» باندهاشٍ وهو يقول مستنكرًا:

- هو أنا لحقت يا حليمو؟ ده أنا اتقفشت في بير السلم قفشة محصل الكهربا اللي جي يحصل فواتير عمارة بيقطع فيها النور تسع ساعات في اليوم، وكان منظري يقرف الكلب الأجرب، بس تعرف برضه؟ أنا شفت في عنيها نظرة في القسم، ما شُفتهاش من زمان، من سنين، نظرة الخضة اللي كنت بشوفها أما كنت بقولها كلمة حلوة مش متوقعاها، نظرة الذهول غير المنتظر، كان شكلها حلو قوي فعلاً يا حليمو.

صدر صوت «حليمو» فخورًا من قلب الكتاب قائلاً:

- مش قلتلك؟؟ أنا الحواديت بتاعتي ما تخييش أبدًا.

نظر «حلو» إلى الكتاب ببلاهةٍ وقال:

- والنبي تتوكس، وتشوفلنا حدوتة عدلة يا ريت ما تنتهيش بجريمة قتل أو دخول رعاية مركزة من بوادر مرض التهاب المفاصل اللي حيجيلي من البرد.

- طيب، شوف أنت المرّة دي تحب تعمل إيه؟ إيه اللي ناقصلك في حياتك

مع «سعادة»؟

أخذ «حلو» يدور بعض الوقت في مكانه وهو يحاول جاهدًا البحث عن أسباب فتور العلاقة بينه وبين حبيبته «سعادة»، لقد افتقد خلال زواجه للكثير والكثير من المشاعر، ولكنه الآن لا يعلم أي تلك المشاعر أكثرها تأثيرًا، لا يعلم ما يقدِّمه لها، حاول أن يقدم لها السعادة لكي يتفهم رأيها، حاول أن يقدم لها الرومانسية حتى يتأكد من مشاعرها، فماذا يقدم لها بعد؟؟

هل يقدم لها المال؟؟؟ أنه يعلم تمامًا أنها غير مهتمةٍ بالمال، لقد تزوجته وهو في حالةٍ ماديةٍ بسيطةٍ، وعاشتِ سنوات عمرهما لم تشتكِ ولم تطلب، «سعادة» ليس لها مطالبُ ماديةٌ ولن تسعدها الأموال.

إذن، ماذا يقدم لها حتى يدخل المشاعر مرةً أخرى إلى قلبها؟ كيف يعوّضها سنوات الفتور التي مرَّت عليهما؟

لابُدّ مِن أن يختار لها شعورًا جديدًا لم تختبره منذ زواجهما الذي دام خمس سنواتٍ، يجب أن يختار لها تجربةً لم تمرّ بها معه من قبل.

ظل السؤال يتردد بداخله، ماذا يختار لها؟؟؟

- المغامرة؟

نطق بها «حلو» وهو ينظر إلى الفراغ مشدوهًا، مما جعل «حليمو» يسأله من قلب الكتاب باهتمامٍ:

- مغامرة؟؟ مغامرة إيه؟؟ وضحلي.

نظر «حلو» إلى صفحات الكتاب قائلاً:

- أنا من يوم ما اتجوزتها وأحنا عاملين زي البط المستكوفي، نصحى الصبح، نتشمس، ونرجع آخر الليل على العشة نتدفى، مفيش تجديد في حياتنا خالص، لا خروج ولا سهر ولا مواقف نفتكرها، مفيش إثارة خالص في حياتنا، وأيامنا كلها ماشية برتابة واحدة ما بتتغيرش.

تقلبت صفحات الكتاب بهدوءٍ وصَدَرَ صوت «حليمو» قائلاً:

- امممم، مفهوم، بس برضه أنا محتاج توضيح أكتر عشان بترجع بعد كدة تقولي أني بدبسك.

- بص يا حليمو، أنا محتاج أكون مُغامر، أخطف «سعادة» خطف كدة، واخليها تشوف في يوم واحد اللي ما شافتوش بقالها سنين طويلة.

لمعت صفحات الكتاب للحظةٍ وقال «حليمو»:

- تصدق بالله؟؟

- لا إله إلا الله.

- والله انت ابن حلال.

- الله يكرمك، اشمعنى؟

- أنا دلوقتي بس عرفت أنت حتكون مين.

- إرحم أهلي.

- لا لا ما تقلاقش، لا حوديك أوروبا ولا امريكا، أنا حجيبلك حدوتة من هنا، من عندنا، شبهنا.

- شبهنا؟؟؟ بقولك مغامرة تقولي شبهنا، إعتقني لوجه الله.

- اصبر بس على رزقك، إجهز للمغامرة، الساعة خلاص عدت اتنين صباحًا.

- طب بس فهمني حتسخطني ايه المرة دي؟؟ ما بقتش نااافع.

- يا ابني بلاش غلبة، إجهز.

وارتجّت جدران المكان من جديدٍ وبدأت وريقات الكتاب في التقلُّب بسرعةٍ شديدةٍ وبدأ الصوت الجهوريّ في ترديد ذات الجملة:

- كل وقت، ولـ...

قاطعه «حلو» بصرخةٍ هادرةٍ:

- استتتتتتتتتنى

- ايه؟؟ في ايه؟؟؟

- أحب على هوامشك يا شيخ، أي حاجة بهدوم، عادية، لبس بني آدمين، لا أحمر ولا مايكرو ولا جلد تمساح الله يستر عرضك.

- اطمن، وإجهز.

وعاد الصوت الجهوريّ مرةً أخرى الى ترديد الكلمات:

- كل وقت، وله حدوتة، بس المهم، تكون مظبوطة.

وسطعت الألوان من جديدٍ، واختفى «حلو» مرةً أخرى، في قلْب حدوتةٍ جديدةٍ، وأخيرةٍ.

*****

ذات التجربة التي يمرُّ بها «حلو» في الانطلاق إلى كلّ حدوتةٍ وحكايةٍ جديدة، نفس الألوان ونفس الشعور بفقدان القدرة على تحديد الزمان والمكان لعدة دقائق، يعقبها انقشاعٌ تامٌّ لضباب الألوان المحيط به من كلّ صوبٍ، ليجد نفسه دائمًا في مكانٍ جديدٍ.

وهذه المرة، وجد «حلو» نفسه واقفًا في أكثر مكانٍ غرابةً، سفينةٌ كبيرةٌ عتيقةٌ مُظلمةٌ، في قلب الليل، لا يكاد سطحها يظهر إلا عن طريق النور المنبعث من بعض القناديل القديمة التي تُضاء بالزيت، كانت السفينة تسير وسط المياه بتؤدةٍ شديدةٍ.

تحسس «حلو» ملابسه ليجدها ملابسَ قطنيةً فضفاضةً دافئةً، يُزيِّن خصره قطعةٌ من القماش الطويلة المُلتفة عددًا من المرات حول وسطه، وعلى رأسه كانت عمامةٌ قطنيةٌ ضخمةٌ، امتدت يده تتحسس وجهه فوجد شاربا كثًا، ولحيةً خفيفةً.

شعر بثقلٍ ما في أذنيه، فامتدت يداه تتحسسهما فاصطدمت بقرطين معدنيين مستديرين كبيرين متدليين منهما مما جعل «حلو» يقول مُنزعجًا:

- يعنى هو أنت إن ما كنتش تلبسني أحمر، أو عريان بجيبة على اللحم، تقوم

ملبسني حلق؟؟؟ كتاب حواديتك كل أبطالها شمال، ولا عمرك حتفلح.

دقق «حلو» في الشاطئ القريب من حوله، ثم ما لبث أن ارتفع حاجباه اندهاشًا وقال:

- إيه ده؟؟؟ ده أنا في النيل؟؟؟ ده مصنع إسمنت طُرة أهو!!! طيب وإيه بقى السفينة دي؟؟ ويا ترى مين أبو حلق ده اللي راكب سفينة ضخمة كدة؟؟ عامل فيا إيه المرة دي يا حليمو؟؟؟ استر يا رب.

بدأ «حلو» يتلفت حوله ليشاهد سطح السفينة الكبيرة وأشرعتها الممتدة لمسافةٍ عاليةٍ، إنها لا تشبه أيًا من المراكب الشراعية التي تسير في النيل، وفي مؤخرتها كانت حجرةٌ خشبيةٌ أسفل قمرة قيادتها المرتفعة عبر درجٍ صاعدٍ، كُتب عليها بحروفٍ عربيةٍ خالصةٍ وبخطٍّ كبيرٍ منقوشٍ على أخشابها:

« سـفـيـنـة الـسـنـدبـاد الـبـحـري «

صاح «حلو» مُستنكرًا:

- سندباد؟؟؟ سندباااد يا حليمو؟؟ حرام والله، حرااام، اقولك مُغامرات عاطفية أنا والمدام تقوم تخليني سندباد؟؟؟ يعني المفروض أعمل إيه أنا دلوقتي؟؟؟ أتصرف أزاي؟؟ افسحها في بُق رُخ؟؟ والا اجري بيها قصاد تنين براسين؟؟؟

اوف بقى، اووووف.

أخذ «حلو» يدور فوق متن السفينة وهو يفكر كيف يتصرف، بينما التيار النهري يسير بالسفينة بهدوءٍ شديدٍ تجاه الشمال، إلى أن قال «حلو» مُحدِّثًا نفسه:

- هممم، طيب، أنا مش عارف بصراحة حأقدر أعمل إيه إنما المهم دلوقتي أوصل لسعادة، عمومًا، الفجر أهو بيشقشق وعـ...

قطع حديثه مع نفسه صوت سرينة الشرطة النهرية وهي تقترب من السفينة بسرعةٍ ويكاد ضوء كشافاتها يُحيلُ الليل نهارًا لتستكشف طبع السفينة مع صوتٍ صادرٍ من مذياعٍ عالٍ يقول:

- إرمي المرسى وإثبت للتفتيش وأظهار أوراق الملكية وتصاريح النقل.

لطم «حلو» خديه وهو يحاول الاختباء و الاختفاء من فوق متن السفينة هنا أو هناك قائلاً:

- يااادي المصيبة، يـااادي المصيبة، هو أنا مكتوبلي في كل الحواديت يطلعلي بوليس؟؟؟ هي وزارة الداخلية فتحت فرع حواديت؟؟؟ يااادي النصيبة، وبضاعة ايه؟؟ يا حومتي!! أنا عارف حظي الهباب، اكيد دي حتكون

أول مرة في حياة السندباد يتاجر في المخدرات، أنا عارف حظي الإسود، يوريني فيك يوووووووووووووم يا حليمو خُد من قلبي وصُر.

بدأت دورية الشرطة النهرية الممثلة في أربع أفرادٍ من الاقتراب من السفينة والالتحام بها، والصعود إلى متنها محملةً بالسلاح، واتجهوا فورًا إلى «حلو» وأحاطوا به وقال قائدهم بخشونةٍ:

- أوراقك بسرعة.

تحسَّس «حلو» ملابسه بتوترٍ وهو لا يعرف ماذا يجيب أو ماذا يقدم، ثم ما لبث أن ابتسم ابتسامةً بلهاء إلى قائد المجموعة وهو يشير إليه بكفيه مع كتفيه بما يعني أنه لا يملك أوراقًا، مما جعل القائد يقول بغضبٍ:

- ماشي من غير ورق؟؟ ليلتك سودة أن شاء الله، ويا ترى بقى محمل ايه بضاعة؟؟؟ انت شغال في الممنوع يالا؟؟؟

نظر له «حلو» بذات الابتسامة البلهاء، وهو لا يجيب دليلاً على أنه لا يعلم أي شيء عن محتوى السفينة، وهو يدعو في سريرته ألا يكون محتواها يحمل أيَّ كوارثَ.

انتشر المرافقون لدورية الشرطة النهرية داخل السفينة بإشارةٍ من يد القائد

ودخلوا إلى قلبها للحظاتٍ ثم عادوا وقال أحدهم:

- تمام يا فندم، محملة اتواب قماش يا فندم.

نظر القائد إلى «حلو» بتشككٍ ثم قال:

- قماش؟؟ وبتنقله بالليل؟؟؟ مع انها غريبة شوية إنما ماشي، فين أوراق البضاعة دي؟؟

زفر «حلو» براحةٍ، ونظر له بعد أن عادت الدماء إلى الجريان عبر عروقه من جديدٍ وقال بسرعةٍ:

- والله سعادتك، شوف والله، الراجل اللي معاه الورق أخد الفلوكة ونزل البر يجيب أكل وكدة سعادتك.

نظر له القائد في تشككٍ وهو يقول:

- بس دي مخالفة كبيرة، النقل النهري له مواعيد، ومفيش معاك ورق للمركب، ولا ورق للبضاعة، والمركب أساسًا شكلها مش ولابُد ومش طبيعية كدة وفيها حاجة غلط؟؟؟ دي لازم لها تصريح مخصوص.

ازدرد «حلو» لعابه بصعوبةٍ وهو يقول للقائد مُحاولاً الخروج من الموقف

المتأزِّم:

- نركن حالاً حضرتك، بس الله يكرمك اركنها انت عشان أنا ما بعرفش أسوق غير اوتوماتيك، ماليش في المانيوال خالص، حتى بقالي ساعة بأدوّر على الدبرياج ودايخ عليه مش لاقيه.

عقد القائد حاجبيه بغضبٍ واندهاشٍ وهو يقول:

- أنت حتستعبط يا جدع أنت؟؟ أنت عاوز تفهمني إنك راكب مركب بالحجم ده ومش عارف تمشيها؟!!

نطق «حلو» بسرعةٍ:

- إن شالله اطفحه سعادتك ما أعرف.

صاح القائد في رجاله قائلاً:

- ارسى على البر يا ابني أنت بالمركب دي وهاتولي البني آدم ده عشان نشوف حنعمل فيه إيه ونشوف صاحب المركب اللي بيقول عليه، ليلتك سودة أنت وهو، أنا حصادر المركب دي بالبضاعة اللي عليها وحاخرب بيوتكم.

هزَّ «حلو» كتفيه بلامبالاةٍ قائلاً:

- صدقني أنا مش حمنعك، ان شالله تبيع منها في الاشارات حتت تنضيف.

ازداد غضب القائد مع تلك الجملة وتحرك رجاله نحو مقود السفينة الكبيرة واقتادوها نحو البر بحنكةٍ، متجهين إلى أول مكانٍ يمكن فيه إرساء السفينة، ونزل منها الجميع إلى البر حيث قال «حلو» متسائلاً بقلقٍ:

- دلوقتي حضرتك السفينة معاكم، وتحت أمركم، ممكن أروح أشوف الراجل صاحبها عشان ييجي يتصرف معاكم ويشوف برضه أكل عيشه؟؟

قالها «حلو» وهو يزمع في قرارة نفسه الهروب فور أن يتركوه يرحل، ولكن قائد الدورية النهرية قال بغضبٍ:

- الكلام ده، تقوله في قسم المعادي، هناك تبقى تتصل بالزفت صاحب المركب وتقوله يشرف هناك، احنا حنسلمك هناك وخلاص، أنا مش فاضيلكم، والمركب متحفظ عليها بمعرفتنا.

بدأ التوتر يسري في عروق «حلو» مرةً أخرى وهو يصيح بفزعٍ:

- قسم المعادي؟؟ يا لهوووي، يااااالهوي، بلاش القسم الله يكرمك، طيب

اقولك، بلاش قسم المعادي طيب، تعالى نروح قسم مصر القديمة، أنا مش مهم، إرحم الضابط اللي هناك الله يكرمك، ده اليوم لسة في أوله حروح منه فيييييين يا لهوووووووووووي

صرخ القائد في الافراد المرافقين له:

- ياللا على القسم.

وهنا، قرر «حلو» أن يقوم بآخر شيءٍ متوقَّعٍ في مثل هذا الموقف؛ ففي لحظةٍ واحدةٍ كان قد تملَّص من يد مرافقه، وانطلق يجري عابرًا الطريق وكأنَّ شياطين الأرض كلها تطارده، ومن ورائه، انطلق أفراد الدورية.

وبدأت المطاردة مع نسمات الفجر الأولى.....

*****

شارفت الساعة على الرابعة و النصف من صباح اليوم في الوقت الذي دلفت فيه «سعادة» ووالديها إلى منزلهم حيث قالت بتعبٍ بالغٍ:

- حمدالله على السلامة يا ماما، الحمدلله أننا عرفنا نخرج من القسم بعد الحاجات الغريبة اللي حصلت دي، ده الضابط كان حيتجنن أما الحرامي

هرب من القسم من وسطنا كدة، دول زمانهم قالبين الدنيا.

ارتمت «أم سعادة» فوق أول مقعدٍ قابلها وهي تقول:

- ااه يا ناري، هرب الكلب الجبان المجرم، هرب قصاد عنينا كلنا وما نعرفش راح فين، فص ملح وداب، قال كلمتين بكش من بتوعه وهووووب، اختفى، والضابط الله ينتقم منه، قفش فينا احنا وعملنا محضر إزعاج سلطات عشان يقفل ورقه.

ابتسمت «سعادة» وهي تحاول منع ضحكتها من الخروج في الوقت الذي قال فيه والدها:

- ضابط غبي إنه سابك.

صرخت «أم سعادة» فيه صرخةً هادرةً وهي تقول:

- بتقووووول أيه؟؟؟

أسرع قائلاً:

- قصدي أقول إنه ضابط غبي أنه سابك من غير ما يطمنك أنه قبض على الحرامي المجرم السفاح الإراري اللي كان جي يدبحنا أنا وانتي والبنت، ده

كان لازم يعين حراسة عليكي.

- ااااه، باحسب، هو عمومًا كان شكله متلجلج كدة ومش على بعضه، أول ما الحرامي فص ملح وداب ابتدى يلف حوالين نفسه ويقول كلام مش مفهوم، زي «هو كل يوم بقى والا ايه؟» وقعد يبرطم كدة.

- معلش، هو لازم يبرطم طبعًا، انتي كنتي مؤثرة جدًا معاه كلنا حسينا بكدة.

- آه طبعًا، أنا مكنتش حسيبوا لولا أنه حلف ليوجهلي تهمة إزعاج سلطات وتعدي على موظف اثناء تأدية عمله، بس مش مهم، مسيري اقفش الحرامي ده تاني، حيروح مني فين؟؟

- أيوة يا حبيبتي، انتي اقعدي استنيه لأنه أكيد مش حيضيع وقت وأكيد حيجي عشان يدبحك ونخلص.

- ايييييييييه؟؟؟؟

- قصدي يدبحك ويخلص عشان ما يكونش ساب شهود يعني اقصد، زي الأفلام اللي قاعدة قصادها طول النهار والليل.

- اااه، فعلاً، انا مش حيجيلي نوم الليلة دي، حاقعد أسهر أما اشوف حيجي

والا لأ، دايمًا في مسلسل «إن سي إس أي» كان بيرجع، دايمًا.

- خلاص، أنا حخش أنام بقى عشان نبدل أدوار بكرة الصبح ، وانتي تنامي، ماشي يا بطة حياتي؟

وقام الأب والتفت إلى «سعادة» وهو يرسم لها بوجهه إيحاءات مضحكة مما دفع «سعادة» إلى كتمان ضحكتها بصعوبةٍ وهي تقول معقبةً:

- أنا كمان داخلة أريح جسمي يا ماما شوية، تعبانة والنور ابتدى يشقشق ومحتاجة أريح جسمي شوية.

قاطعتها والدتها وهي تسأل بانزعاجٍ:

- مفيش أخبار عن سبع البرومبة؟؟!!

تحولت ملامح «سعادة» إلى الحزن وهي تشير برأسها أنْ لا، ونهضت متجهةً إلى غرفتها، دخلت إليها وأغلقت بابها، اقتربت من الفراش وألقت بجسدها وهمومها المتثاقلة فوقه واسندت رأسها إلى طرفه وهي تفكر بصمتٍ، تُرى أين يمكن أن يكون «حلو» في هذه اللحظة؟؟

وماذا تراه يفعل؟؟

*****

- وقَف عندك

بقوووووووووووووووووول»

كان هذا هو صراخ أحد العساكر المطاردين لـ «حلو» عبر شوارع المعادي الفارغة من المارة في هذا التوقيت من عمر اليوم وهذا الطقس البارد في قلب الشتاء أيضًا.

شعر «حلو» أنه يجري كالممسوس، وكان جسده الرشيق عاملاً مساعدًا على الانطلاق بخفةٍ ومهارةٍ بين المبانى وفي الطرق المتفرعة ومن خلفه رجال الشرطة بلا يأسٍ.

كان يجري وقد اختار طريقًا خاصًا، يقوده مباشرة إلى بيت «سعادة»، ومع مرور الدقائق، زاد فارق المسافة بينه وبين مُطارديه، حتى بدأوا في الغياب عن نظره، في الوقت الذي كان قد وصل بالفعل إلى بيت «سعادة».

وقف للحظاتٍ قليلةٍ ليعيد تقييم الموقف، ونفض عن رأسه فكرة طرق الباب مجددًا وخصيصًا مع وجود الفقمة القطبية الملقبة بـ «أم سعادة»، ولهذا خطرت في رأسه فكرةٌ سريعةٌ وضعها موضع التنفيذ على الفور.

انطلق «حلو» إلى جانب العقار، وقفز في منتهى الخفة متعلقًا بمواسير

الصرف التي سوف تقوده إلى الاقتراب من شرفة غرفة نوم «سعادة» القديمة، وأخذ يتسلقها بمهارةٍ حتى وصل بالفعل إلى محاذاة الشرفة وامتدت يده تدفعها بهدوءٍ فانفتحت، أعقبها بقفزةٍ قويةٍ من فوق المواسير ليتعلق بإطار النافذة ويدخل إلى الغرفة المظلمة بصمت الغزلان، ورشاقة الفهود.

وقع نظر «حلو» على أروع ما رأت عيناه في تلك الأيام، وربما في حياته بأسرها، وقع نظره على «سعادة»، وهي تتمدد على جانبها فوق فراشها متكئةً على ذراعها وتضمُّ ساقيها إليها وكأنها طفلةٌ صغيرةٌ تنشد دفئًا ولا تجد من يمدُّها به.

انفطر قلب «حلو» لرؤياها في هذا الحال مع شعوره بسعادةٍ غامرةٍ في نفس الوقت، كان يريد أن يقترب منها ويضمها إلى صدره حتى يذوب قلبيهما ويمتزجان سويًا فلا ينفصلان أبدًا مرةً أخرى.

كان يريد أن يصرخ لها بكل مشاعر الحب التي حملها لها طوال عمره وتناساها في خضم مشاكل الحياة التي لا تنتهي.

اقترب «حلو» بهدوءٍ شديدٍ حَذِرٍ، وعيناه لا تفارقان وجهها، جلس إلى طرف الفراش بخفةٍ واقترب منها وابتسم، امتدت يده تتحسس وجنتها الدافئة،

فبدأت في الإفاقة من غفوتها ووقع نظرها عليه:

- حرااااااااااااااااااامـ...

كتم «حلو» فمها في لحظةٍ واحدةٍ وهو يمسكها ويشير بأصبعه الآخر على فمه كعلامةٍ للصمت، ولكنها كانت قد وصلت إلى مرحلة من الفزع جعلتها لا تكاد تقوى على الصراخ من الأساس، مما جعل «حلو» يقول لها في همس محاولاً أن يُهدأ من روعها:

- أنا مش جي ادبحك.

شهقت «سعادة» واتسعت عيناها برعبٍ مما جعله يقول مرةً أخرى:

- ما تخافيش، والله ما حأذيكي خالص، بالعكس، دا أنا جي أسعدك.

بدأت علامات الفزع تظهر على وجه «سعادة» مع همس كلماته وبدأت الافكار تداعب رأسها ويده ما تزال تكتم أنفاسها، فقال مُكملاً:

- مش قصدي حاجة عيب لا سمح الله، أنا أقصد، أقصد، يعني أقصد أني جي أخليكي تحسي بحاجة جميلة ما حسيتيهاش من زمان.

تسمرت عينا «سعادة» على وجه «حلو» في انفعالٍ وهي تراقبه ولا تقوى

على الحراك ولا مجرد المقاومة وهو يكمل بعد أن منحها ابتسامةً عذبةً:

- أنا عارف انتي اتعذبتي أد ايه في الفترة الأخيرة، وعارف قد أيه اتظلمتي، وعارف قد إيه ضحيتي، وأكيد لازم حد يرد لك جزء ولو بسيط من تعبك ووجعك وتضحيتك، حتى لو عن طريق فسحة أو مغامرة أو حاجة ما عيشتيهاش قبل كدة، انتي بقالك سنين ما اتفسحتيش فسحة حلوة.

بدأت «سعادة» تعقد حاجبيها وهي تستمع إلى كلماته التي مست جانبًا مظلمًا في كيانها، ولكن نظرات الشك التي انطلقت من عينيها كانت تؤكد أنها ما زالت في مرحلة الرعب الشديد، وهذا ما أيقنه «حلو»، أيقن أن كلماته لن تمثل أي قيمة لـ «سعادة» خلال الفترة التي تشعر فيها بهذا الحجم من الرعب.

نظر إلى عيني «سعادة» مباشرةً، بصمتٍ تامٍّ، وعلى وجهه ابتسامةٌ هادئةٌ، بينما لم ترفع عينيها من فوق عينيه وهي تغوص فيهما وترتعد فرائصها، ولكنْ

لسببٍ ما بدأ الهدوء يجد طريقه إلى قلبها، لسبب ما شعرت «سعادة» أنّ هاتين العينين ليستا غريبتين أبدًا، وأنهما لا تضمران شرًا لها على الإطلاق،

نظراتٌ ليست مخيفةً، بل محببةٌ إلى قلبها، مألوفةٌ لديها، ولكنها لا تعرف هذا الشخص، حتى يده التي تكمم فمها، لا تؤذيها، بل أنه يضعها بكل هدوءٍ على فمها، ولا تدري هي لمَ شعرت بأن ملمسها معتادٌ.

دقائقٌ مرّت وهي تتساءل في قرارها، و«حلو» لا يزال يرمقها بذات النظرة الحانية المحبة، وفوق شفتيه أفضل ابتساماته، ثم ما لبث «حلو» أن بدأ بهدوءٍ يسحب يده من فوق فم «سعادة» وعلى وجهه ذات الابتسامة وذات النظرة، إلى أن جلس مواجهًا لها وقد عادت يده إلى جانبه.

لماذا لا تصرخ؟؟؟ لماذا لا تملأ الدنيا عويلاً؟ لماذا لا تستنجد بأحدٍ ما؟؟ ما هذا الهدوء الغريب الذي يغزو أطرافها؟؟

إنّ مجلسه ونظراته ولمساته تذكرانها بشخصٍ ما، شخصٍ قريبٍ محببٍ إلى قلبها...

إنه يذكرها بـ...!

قطع حبل أفكارها تحطم باب غرفتها بعنفٍ شديدٍ، ودخل منه الضابط «عمار» وهو يشهر سلاحه في وجه «حلو» قائلاً وحوله عددٌ من أفراد الشرطة مدججين بالأسلحة:

- ولا حركة، حركة واحدة وحضربك رصاصة تجيب أجلك.

انفجر الموقف مع انتفاضة «حلو» وعودته إلى الوراء مُلتصقًا بالجدار، بينما دلفت «أم سعادة» إلى الغرفة وأبيها الذي توجه إلى «سعادة» وضمها في خوف بينما صرخت «أم سعادة» بجذلٍ واضحٍ:

- أنا قلت أنك حاترجع تاني، أول ما سمعت البت بتصرخ نص صرخة، فهمت، وكلمت البوليس يا حرامي يا سفاح يا، يا، إيه ده؟؟ مين ده؟؟؟ انت مين؟؟ ده مش هو الحرامي!! ده واحد تاني!! مين ده؟؟

نظرت «أم سعادة» إلى «سعادة» وهي تتساءل:

- مين ده؟؟؟

ثم التفتت إلى الضابط «عمار» وهي تردد:

- مين ده؟؟؟!!!

صرخ الضابط «عمار» في وجهها وهو يقول:

- بس يا ولية، بس لاخدك رصاصة انتي كمان، حللي عني الساعة دي، جننتوني بقالكم كام يوم، هو أنا فاتح القسم عشانكم؟؟!! اسكتي.

ثم التفت إلى «حلو» وهو لا يزال موجهًا سلاحه إليه مباشرة قائلاً:

- جرى إيه يا ولاد الحرام؟؟ بقالي تلات أيام ما نمتش وحاسس أن المعادي اتحولت لشيكاغو في عزها بسببكم، انت مين اللي باعتك هنا وعاوزين إيه من العيلة المهبوشة دي؟؟ ومين معاك تاني؟؟ انطق؟؟؟

شعر «حلو» أنَّ الموقف يزداد تأزمًا، وأن الوضع على وشك الانفجار بالفعل، الكل مصاب بالتوتر القاتل، الكل لم يعد يحتمل مزيدًا من المفاجآت، ولكنه لن يخاطر بفقدان شعور «سعادة» هذه المرة، إنها لن تفهم ما يحدث مهما حاول أن يوضح لها في ظل هذا الموقف شديد التعقيد.

كانت أشعة الشمس قد بدأت تجد طريقها إلى قلب الغرفة في هذا الوقت المبكر من النهار، وقد قاربت الساعة على السابعة صباحًا، قطع صمت المكان صوت الضابط «عمار» وهو يعيد سؤاله بلهجةٍ صارمةٍ:

- أنت حتنطق أنت مين وإلا أفرغ فيك رصاصتين ونخلص بحلقك اللي في ودنك ده؟

أجاب «حلو» بسرعةٍ:

- لا لا لا، مالوش لزمة طبعًا حضرتك، بمنتهى البساطة حضرتك، أنا سندباد.

- يا دي النهار الازرق، يا ابني بلاش استفزاز على الصبح أنا ما نمتش بقالي كتير والسلاح شاطر، ما تستفزنيش.

- يا باشا والله ما بستفزك ولا حاجة، أنا اسمي سندباد حضرتك، وشغال مع السيرك القومي، عشان كدة لابس اللبس ده، وأنا جي عشان في حد باعتني للست سعادة.

انعقد حاجبا «سعادة» بشدةٍ وهي تستمع إلى تلك الكلمات ، بينما صرخت أمها وهي تقول:

- السفاح ابن السفاااحة، هو اللي بعتك عشان تخلّص اللي معرفش يعمله، اضربه بالرصاص يا حضظابط ، اضربه بالرصاص بسرعة يا حضظابط، حضظاااااابط.

صرخ الضابط «عمار» في «أم سعادة» بجنونٍ وهو يقول:

- يا ست أنتي اسكتي ، سدي بقك ده خالص، بقك ده جايب ساقعة أكتر من الشباك المفتوح هناك، كفاية بقى اسكتي، وأنت يا بني آدم، ايه الزفت اللي بتقوله ده ، أنت مين ومين اللي باعتك هنا؟؟ انطق بدل ما أفرغ المسدس ده فيك وفي الولية دي واخلص منكم انتوا الجوووووز.

أطرق «حلو» برأسه قليلاً، ثم رفع عينيه إلى «سعادة» التي ترمقه باهتمامٍ بعد كلماته الأخيرة وهو يقول مبتسمًا بصوتٍ هادئٍ:

- أنا اللي باعتني، واحد كان تايه في الدنيا ومشاكلها، واحد اختفى في روتين الحياة، ونسي وسط الزحمة الإيد اللي كانت ماسكة في ايديه، وما بقاش حاسس بلمستها، ولا بقوتها، ولا بحنانها، أنا اللي باعتني، إنسان كان نسي تمامًا، ان شريكة حياته، محتاجة السعادة والرومانسية والروح الشقية اللي بتخللي حياة كل اتنين حياة جميلة.

كانت ملامح «سعادة» تتحول إلى الذهول من وقع الكلمات، كانت تشعر وكأن كل كلمةٍ تدخل إلى وجدانها فتحطم حجرًا وتنتزع من ورائه حبًا وعشقًا دفينًا، قفز إلى عقلها صوت «حلو»، وأسلوبه، وذكرياته معها في الجامعة، وقصة حبهما الجميلة، شريط حياتهما بالكامل دار في عقلها في لحظات قصيرة بينما استكمل «حلو» كلماته بحنانٍ:

- اللي باعتني، بيقول إنه شال التراب اللي على قلبه فرجع يدق تاني، زي الأول وأكتر، وإن شعوره معاكي بأقل قدر من «السعادة» بكل تأكيد حيكون شعور «حلو».

ورغم أن الساعة لم تكن قد تعدت السابعة صباحًا ببضع دقائق، إلا أن الأمور قد تفجرت مرةً أخرى فور أن بدأت سحبٌ من الألوان في الظهور مرةً أخرى، وبدأت الأشكال في التداخل مرةً أخرى.

نظر «حلو» بسرعةٍ إلى النافذة ليتأكد أنه ما زال في بداية النهار، وأن اليوم ما زال في أوله، ولكنه شعر بذات الشعور الذي يشعر به مع نهاية كل حكاية، لذا، لم يعر الأمر كثيرًا من الاهتمام حين نظر إلى «سعادة» مرةٍ أخيرة وملامحه تبدأ في الاختفاء في قلب ضباب الألوان البراقة وهو يقول:

- اللي باعتني، شايل ليكي في قلبه أكتر من سعادة بابا نويل للعالم كله، وأكتر من حب انطونيو لكليوباترا، وأكتر من حلاوة روح وشقاوة السندباد لبلاد الدنيا.

ارتجفت «سعادة» لوهلةٍ وهي تحدِّق في عيني «حلو» وهي لا تزال بين ذراعي والدها وهي تتمتم بخفوتٍ شديدٍ للغاية بصوتٍ لا يكاد يخرج من فمها:

- حلو؟؟؟؟؟

ولكنّ «حلو» قد رآها بالفعل وسمعها، فأعطاها أفضل ابتساماته، قبل أن

يغيب في ضباب الألوان ويختفي مرةً أخرى...

وأخيرةً.

*****

١٠

ألوانٌ، ألوانٌ، ألوانٌ

لا جديدَ

نفس المظاهر التي يعود بها «حلو» في كل مرةٍ من إحدى الحواديت التي يرسله خلالها كتب الحواديت العتيق.

وجد «حلو» نفسه من جديدٍ داخل القبو المظلم الذي تضيئه تلك المصابيح الضعيفة، وهو على هيئته الأصلية مرةً أخرى.

كانت العديد والعديد من الأسئلة تدور في رأسه بلا توقفٍ، وفور أن وقعت عيناه على الكتاب قال بغضبٍ:

- معلش عشان في سؤال مهم في المرحلة دي، هو أنا شغال عند اللي جابوك

لا مؤاخذة وأنا مش واخد بالي؟؟؟

صدرت من «حليمو» ضحكةٌ قصيرةٌ للغاية اتبعها بسؤالٍ:

- ليه كدة بس يا حلو؟ دا انا بحاول أساعدك يا ابني.

صاح «حلو» قائلاً:

- تساعدني؟؟؟ أنت بتستهبل؟؟ أنت متفق معايا أن النيلة الحدوتة تخلص أمتى؟؟

رد «حليمو» قائلاً بسرعةٍ:

- الساعة اتناشر بالليل وقت هروب سندريلا.

قال «حلو» مستمرًا في غضبه:

- ولما هي نيلة «سندريلا» كانت بتهرب في إنصاص الليالي، ممكن أعرف بس ازاي سحبتني على ملا وشي والساعة يا دوب لسة ما جاتش تمانية صباحًا؟؟ ده كدة تزوير رسمي في الحواديت، إيه شغل سرقة دقيق العيش في أفران الحكومة ده؟؟؟؟!!

ضحك «حليمو» ضحكةً قصيرةً ثم قال:

- أصل الموضوع اختلف كتير المرة دي، والأمور أتغيرت، وجدّ جديد، وفيه ضرورة قصوى.

نظر «حلو» إلى الكتاب بغضبٍ وقال متسائلاً وهو يولّيه ظهره:

- اتغيرت في أيه بقى إن شاء الله؟؟ غيروا التوقيت الصيفي تاني وأنا مش دريان؟؟؟ أنا عارف، الحكومة دي حتجيبلي شلل، حتى في الحواديت.

ضحك «حليمو» من قلب الكتاب وهو يقول:

- لا، الحكومة مالهاش دعوة، والتوقيت مالوش دعوة كمان، انما الحج عزازي هو اللي له دعوة.

التفت إليه «حلو» مُندهشًا وعلى وجهه علامات الاستفهام مما جعل «حليمو» يُكمل قائلاً:

- عمومًا، مفيش وقت كتير باقي للشرح، كلها كام دقيقة وحتفهم كل حاجة.

ثم بدا على نبرات صوته علامات التأثر وهو يقول:

- إنت حتوحشني قوي يا حلو، بس أديك عرفت السكة، وعارف تلاقيني فين، ما تبقاش تنسى عمك «حليمو» اللي بينقل الحواديت.

ازداد اندهاش «حلو» من كلمات الكتاب وقال:

- هو في إيه يا حليمو؟؟ انت حيتقبض عليك والا حاجة؟؟؟ جالك عقد عمل في السعودية ومسافر طيب؟؟؟ أنا مش فاهم حاجة.

ضحكةٌ صدرت من قلب الكتاب بحُنوٍّ وهو يقول:

- أقل من خمس دقايق وحتفهم، أقل من خمس دقايق وحتلاقي الحج عزازي داخل عليك دلوقتي، وتخرج من تاني للدنيا، وتروح تشوف «سعادة» بجد، وتقولها على كل اللي نفسك فيه.

وقف «حلو» صامتًا فاستكمل «حليمو» كلماته قائلاً:

- عارف يا حلو؟ أنا حقولك على حاجة حتستغرب ليها قوي، أنت خلقت لنفسك حدوتة جديدة، حدوتة مش بس بيحاول فيها البطل يوصل لحبيبته زي كل الحواديت اللي بننقلها للناس، لا، أنت خلقت حدوتة بيحاول فيها البطل يحافظ على حبيبته للأبد بعد ما وصلها فعلاً، انت خلتني لأول مرة من آلاف السنين أشوف نهاية جديدة للحواديت.

بدت على وجه «حلو» علامات التوتر والانزعاج وهو يقول:

- أنا مش فاهم حاجة بصراحة، ومش عارف ليه الحواديت بتاعتي ما كملتش للآخر يا حليمو أو مشيت بشكل مظبوط، وبصراحة، مش شايف أني قدرت أوصّل حاجة من اللي جوة قلبي لسعادة، أنا حاسس أني فشلت تمامًا يا حليمو.

قال حليمو برفقٍ:

- بالعكس، لازم تفهم إن قيمة الحواديت يا حلو بتكون دايمًا في المحاولة، والإصرار على المحاولة، والتمسك بالقيمة الوحيدة للحدوتة، اللي هي الحُب، وأنت في كل حدوتة من الحواديت اللي رحتها، كنت بتحاول من كل قلبك، ومُصمم، ومُصرّ، ودي الحاجات اللي حتنجح حدوتة كل بني آدم بيحب شريكة حياته، سواء قبل الجواز أو بعد الجواز، المحاولة والتصميم والإصرار على الحب.

صمت «حلو» للحظاتٍ، وهو يُفكّر في كلمات العجوز التي مسّت جزءًا من قلبه، وجعلته يشعر بالاشتياق إلى «سعادة» مرةً أخرى.

بالفعل، إنه يُحبها، يعشقها، رغم كل الظروف المحيطة بهما، رغم جلبابها الذي شوهته بقع الزيت والذي لم تعد تُلقي بالاً لتغييره، رغم صوت ضرباتها

المتتالية للحشرات في المطبخ وصراخها فرحًا بتحطيم رؤوس ما تطاله يدها منهم، رغم وزنها الزائد الذي لم تعد تهتم بمحاولة انقاصه، رغم كل ما يحيط بعلاقتهما من توترٍ لعدم الإنجاب حتى الآن وحالتها النفسية المتردية لهذا السبب تحديدًا، إلا أنه بكل بساطةٍ، يذوب عشقًا في مُحيّها.

هي فقط من أرادها في الماضي، وسعى إليها، وهي فقط من يعيش حاضره إلى جوارها رغم لطمات أمواج الحياة القاسية، وهي فقط من يرغب في أن يستيقظ من نومه بعد سنواتٍ عدة ليُطالع وجهها الصبوح إلى جواره.

لم يحلم بأكثر من هذا في الماضي، ولكنه نسى، أو تناسى، والآن، الآن فقط، يتذكر.

قطع حبل أفكاره الصوت العتيق الصادر من قلب الكتاب «حليمو» وهو يقول:

- دقيقة واحدة، وحيكون الحج عزازي هنا، إوعى تنساني يا حلو، وخليك دايما فاكر الكلام اللي قلتهولك.

ابتسم «حلو» بهدوءٍ وتأثُرٍ وهو يجيب:

- أنا مش حاقدر أنسى إنك كنت السبب الأساسي في إني اعرف قيمة حبي

الحقيقي لسعادة، وعمري ما حانسى اليومين الحلوين اللي قضيتهم معاك، طبعًا بغض النظر عن مشاهد للكبار فقط اللي كنت بتبعتني فيها دي إلا أني فعلاً فهمت حاجات كتير قوي عن الحب وسنينه السودة.

ضحك العجوز «حليمو» ضحكةً قصيرةً قبل أن يقول:

- مش حقولك توتة توتة خلصت الحدوتة، لأن الحواديت في الأصل ما بتخلصش، الحواديت بتستمر وتعيش طول ما أبطالها عاوزينها تستمر وتعيش، أشوف وشك بخير يا حلو.

وبدأت الألوان في السطوع بشدةٍ في القبو، وبدأت المصابيح الصغيرة تزداد إضاءةً وقوةً، وتداخلت الأشكال للحظاتٍ قليلةٍ، ثم ما لبث كلّ شيءٍ أن عاد إلى هدوئه مرةً أخرى و الكتاب مغلقٌ كما كان في بداية الأحداث.

ومع عودة كل شيءٍ إلى طبيعته، انفرج باب القبو عن الحج «عزازي» وهو يدخل إلى القبو وعلى وجهه علامات الإعياء والإجهاد، وهو يقترب من «حلو» ببطءٍ ويقف أمامه مذهولاً ثم يقول:

- أنا قلت إني اكيد حاجي ألاقيك جثة هامدة أو شبه ميت، أنت بقالك أكتر من تلات أيام تقريبًا من غير أكل ولا شرب ، أنت واقف كدة وواعي

ازاي؟؟؟!!!!

نظر له «حلو» نظرة فرحةٍ وقال:

- بقى كل ده بتجيب كوباية شاي يا حج؟؟؟ دا أنت لو رحت تجيبها من مزارع الشاي في الهند مشي كان زمانك جيت.

نظر له الحج «عزازي» بذهولٍ مستمرٍ مما جعل «حلو» يكمل بمرحٍ:

- المهم أنك جيت، عُمر الشقي بقي، حافهمك أنا، أنا أصلي كنت اتعلمت من شوية رهبان صحابي من التبت كانوا جايين يدرسوا ومقيمين في المدينة الجامعية بتاعة الأزهر هنا واتسمموا في حادثة أكلة كشري، المهم اتعلمت منهم كيفية الانخفاض بمعدلات الأيض إلى أقل درجة ممكنة لمقاومة الجوع والعطش.

نظر له الحج «عزازي» بعدم فهمٍ تمامًا وهو يقول:

- إيه يا ابني اللي بتقوله ده؟؟ ايه حكاية الأيض دي؟؟

رد «حلو» بسرعةٍ قائلاً:

- لا، أنت الظاهر ما كنتش بتتابع برنامج «سر الأيض» اللي كان بيجي في

التليفزيون!! بص يا حج عزازي حفهمك لما نطلع من هنا، يا تلحقني يا ما تلحقنيش عشان أنا خلاص حموت أدخل الحمام.

وبالفعل خرجا سويًا من القبو واتخذا طريقهما للصعود ومنها إلى خارج المتحف حيث كانت سيارة «عصام عبدالراضي» واقفة تنتظر وفي داخلها أيضًا «سلمى» ابنة الحج عزازي التي أصرت أن تأتي معه نظرًا لحالته الصحية المتردية بعد أن أفاق في المستشفى وتذكر أنه قد ترك «حلو» في القبو وصمم على المجيء رغم حالته الصحية وتحذيرات الأطباء.

وما إن رآه «عصام» حتى قفز من سيارته وأقبل عليه واحتضنه بشدةٍ وهو يطمئنّ عليه، مما جعل علامات الاندهاش تبدو على ملامح «حلو» وهو يقول:

- ايه ده يا جدعان؟؟؟ هو في أيه؟؟؟ ايه حضن المطارات ده؟؟ حد قالكم أنا كنت في عُمرة ولسة واصل؟؟ إيه اللي جابك هنا يا عصام؟؟

نظر له «عصام» باندهاشٍ وهو يقول:

- يا ابني ده الدنيا مقلوبة عليك بقالها تلات أيام، في الوزارة والبيت، وكمان «سعادة» بُرج من دماغها حيطير حتتجنن من القلق عليك، ده غير أنك

اختفيت فجأة ومحدش لا عارف يجيبك بالموبايل ولا عارفين نوصلك لطريق، ولولا عرفت أوصل للحج عزازي اللي فاق انهاردة الفجر بس، أنا أول ما كلمتني سلمى من ساعتين اخدت بعضي وعديت عليهم في المستشفى جري وجينا، والحمد لله إن انهاردة الجمعة ومفيش بني آدم في الشارع الساعة دي تقريبًا، والمتحف مش شغال كمان.

استمع «حلو» إلى كل تلك الكلمات بانبهارٍ، ولكنه لم يردد منها إلا جملةً واحدةً:

- سعادة؟؟ قلقانة عليا؟؟؟

- حتموت يا ابني من القلق، دي ما نيمتنيش من يومين وأنا داير ألف وراك وأدور عليك في كل حتة زي العيل التايه.

ردد «حلو» بحبٍّ وشرودٍ:

- سعادة قلقانة عليا، وحشتني قوي.

امتدت يد «عصام» إلى هاتفه المحمول الذي رن في جيب سترته وفور أن أخرجه ضغط أزراره ليجيب المتصل بسرعةٍ ويبتسم ليلقي هاتفه إلى «حلو» الذي تلقفه ليأتيه عبر الطرف الآخر من المحادثة الصوت الأكثر خلابة في

حياته، الصوت المحبب إلى قلبه، صوت «سعادة»:

- الو، أيوة يا عصام، في أخبار عن حلو؟؟ حموت يا عصام من القلق والدنيا هنا ملخبطة جدًا وفي حاجات غريبة بتحصل، أنا خايفة قوي قوي يا عصام على حلو، حموت خلاص مش قادرة.

استمع «حلو» بهيامٍ إلى كلمات «سعادة» التي تقطر قلقًا وعشقًا، ثم قال بهدوءٍ:

- وحشتيني يا بطة.

جاء صوت شهقةِ المفاجأة عبر المحادثة قويًا تلاه صرخةٌ قويةٌ من «سعادة» وهي تقول:

- حلو؟؟؟ أنت حلو؟؟ أنت فين يا حلو؟؟؟ حرام عليك يا حلو، حرام عليك والله، حرام عليك حموت.

وتحشرجت الكلمات في حلقها وانفجرت في بكاءٍ عميقٍ ظهر واضحًا عبر الطرف الآخر، مما جعل «حلو» يبتسم بحنانٍ وهو ينصت إلى صوت بكائها ثم يقول:

- صوت عياطك، أحلى من صوت الأجراس اللي في رقاب الرنّة اللي بتجر

عربية بابا نويل.

توقفت «سعادة» عن البكاء دفعةً واحدةً وهي تنصت باندهاشٍ إلى كلمات «حلو» وتتذكر يومين مضيا، ولكنها لم تنطق، مما جعل «حلو» يُكمل مبتسمًا وقد شعر أن كلماته قد أيقظت بداخلها مزيدًا من التساؤلات:

- وبرضه صوت عياطك أحلى من صوت كل كلمة حب قالها انطونيو لكليوباترا.

زاد اندهاش «سعادة» مع بدأ تداخل العديد من الأفكار إلى رأسها والدموع وصوت بكائها الذي خفت لا يزال على الطرف الآخر، مما جعل «حلو» يُكمل:

- عارفة صوت عياطك أحلى من إيه كمان والا مش عارفة ؟؟؟

تساءلت «سعادة» من بين دموعها وقد بدأت ابتسامةٌ خفيفةٌ ترتسم على شفتيها:

- إيه كمان؟!

ابتسم لسماعه صوتها وهو يقول بصوتٍ لعوبٍ:

- أحلى من صوت الشباشب اللي بتنزل تطرقع على دماغ الصراصير في المطبخ يا بطططططططة.

أطلقت «سعادة» ضحكةً قصيرةً مرحةً والدموع ما زالت فوق وجنتيها تبرق كحبات اللؤلؤ، ولكنها قالت:

- حلو في حاجات كتير حصلت عاوزة أحكيلك عليها، عشان مش فاهمة حاجة، أنت وحشتني قوي، وفي حاجات كتيرة قوي حصلتلي الأيام اللي فاتت، تعال بسرعة يا حبيبي، أنت واحشني قوي، نفسي أشوفك وتبقى قصاد عيني.

ذاب قلب «حلو» عشقًا لسماع كلماتها الطيبة، فقال بهيام:

- جايلك هوا، حالاً، مسافة السكة، أنا كمان عندي حواديت كتيرة قوي قوي عاوز أحكيلك عليها.

اندهشت «سعادة» لكلماته وهي تسأله:

- حواديت؟؟؟ حواديت إيه اللي عاوز تحكيلي عليها؟؟؟

اتسعت ابتسامة «حلو» عن آخرها، وهو يلتف لينظر إلى متحف دار الكتب مرةً أخرى ويقول لها:

- حواديت السعادة.

*****

١١

- ها ؟؟ البنات ناموا ؟؟

أومأ «حلو» برأسه إيجابًا وأغلق باب الغرفة خلفه بهدوءٍ ثم وضع الكتاب الكبير من يده فوق المنضدة المجاورة لباب الغرفة قبل أنْ يتجه على أطراف أصابعه إلى حيث تجلس «سعادة» على الأريكة أمام التلفاز تتابع أحداث فيلمٍ أجنبيٍّ، وما إن جلس إلى جوارها حتى أحاطها بذراعه بابتسامةٍ قائلاً:

- صوتي اتنبح معاهم وأنا عمال احكيلهم الحكاية بتاعة كل يوم، وبعدين ما بيزهقوش منها بقى، وأقعد أحشي في هدوم في بطني عشان بابا نويل، وأقف بالفانلة الداخلية في البرد عشان انطونيو، واتنطط على السراير زي القرد عشان سندباد وشغلاااانة، كان يوم غلط يوم ما حكيتهالهم أول مرة

الحكاية دي.

ضحكت «سعادة» بصوتٍ عالٍ وأسرعت بكتمان ضحكتها بكفيها خشية إيقاظ الفتيات مما جعل «حلو» يستطرد قائلاً:

- إضحكي يا أختي إضحكي، وصحيهم وخليني أحكي وأجيب من الأول تاني بابا نويل وانطونيو وسندباد، إضحكي.

استمرت «سعادة» في الضحك مع استمرار «حلو» في كلماته بطريقته الساخرة المعتادة إلى أن قاطعها «حلو» قائلاً:

- بس إيه الحلاوة دي والعسل ده والجمال ده؟

احمرّ وجه «سعادة» وهي تزيح يده من وراءها وتقول:

- مالكش دعوة يا فالح وخليك في حالك.

ارتفع حاجبا «حلو» باندهاشٍ وهو يقول:

- يا حومتي؟!! بقى أنا بقالي ساعتين ونص بحاول أنيم بناتك التلاتة جوة وفي الآخر تقوليلي خليك في حالك؟!! ده أنا اعملكوا مجنون هنا الليلة دي!!

دارت «سعادة» ابتسامتها الخجولة وهي تقول له دون أن تنظر إليه:

- ما إنت مش حتودينا لماما بكرة زي ما أنا طلبت منك وماسك في رأيك.

اعتدل «حلو» مبتسمًا وهو يقول لها:

- يا حبيبة قلبي بكرة أنا قايلك إنه بتاعي أنا وأنتِ بس مفيش ماما ولا بابا، خللي ماما تنكد علينا في يوم تاني، العيال بس اللي حنعديهم على ماما تجلدهم براحتها، إحنا زوغان بقى، ده حتى عصام كلمني كان عاوزنا نخرج معاه هو ومراته وأنا اعتذرت، زي ما خلعت بالعافية من الحج عزازي كدة قصادك في مكالمة الضهر، سعادة، بقولك إيه، أنا واخد أجازة بالعافية يومين وعاوز أعيد فيهم الذي مضى يا غزال أنت يا عسل، أنا منبه على البواب أي حد يسأل عليا من سكان العمارة يقولهم مسافر، مساااااااااااافر يا غزاااااال

ازداد احمرار وجه «سعادة» وهي تتدلل وتقول:

- يا سلام يا خويا، دلوقتي بقيت غزال؟؟ ما كنت زمان بطبوطتك و كلبوظتك وكرومبتك يا بكاش.

ابتسم «حلو» بجذلٍ وهو يقترب منها ويحيطها بذراعيه ويقول لها:

- الكلام ده زمان قبل ما نخلف النسانيس اللي نايمة جوة دي، وبعدين برضه الكلام ده قبل ما تخسي بعد الولادة وتنافسي كيم كارديشان يا مُزة البحر

الأحمر، اموت أنا في الام بي سي بوليود بالعربية، والا بالزلاجة حتى بلاش العربية.

قهقهت «سعادة» بجذلٍ وهي تدفعه قائلةً:

- بس يا حلو البنات تصحى!!!

رد «حلو» بابتسامةٍ لعوبٍ وهو يجذبها إليه بتوددٍ:

- بنات مين و بتاع مين؟ خلاص ناموا ومحدش حيخلصك من ايدي.

نهضت «سعادة» وهربت من بين يديه واتجهت إلى غرفة نومهما وهي تقول بدلالٍ:

- أنا حدخل أنام يا خويا، خليك بقى قاعد تابع الفيلم.

قفز «حلو» نحو التلفاز فأغلقه بسرعةٍ ثم اتجه إلى قابس النور ليطفئه، وقبل أن يطفئه، وقع نظره على الكتاب فوق المنضدة المجاورة لباب غرفة الفتيات، فهرع إليه وحمله ليضعه باهتمامٍ في مكانٍ خاصٍّ وسط مجموعة كتبه المميزة المنتقاة.

ووقف للحظةٍ ينظر إليه ويبتسم وهو يقرأ الكلمات التي خُطت فوق كعبه

بحروفٍ عثمانيةٍ قديمةٍ وقرأها بصوتٍ خافتٍ:

«حواديت السعادة»

تمت بحمد الله



"وعاشوا في تبات وتبات... وخلفوا صبيان وبنات... وتوتة توتة خلصت الحدوتة"

لكن ... في الحقيقة... ولا عاشوا في تبات ونبات... ولا الحدوتة بتخلص...

وهي مسافة خمس سنين وكان هو مصمم يخليها تطلع تنضف سور البلكونة من فوق عشان يزقها غصب عنه فتنزل تتدلع على احبال الغسيل قضاء وقدر...

وهي مصممة يطلع يغير لمض الشقة المحروقة عشان عارفة ان السلك مكشوف وحتفتح النور وهو حاطط إيده جوة الدواية...

هي دي الحقيقة غالبًا...

وبناءً عليه تعالى نشوف سوا إيه اللي محتاج تغيير حقيقي ...

جواز الحواديت؟؟؟ والا حواديت الجواز؟؟؟



شريف أسعد كاتب روائي وقصصي ساخر.. خريج تجارة القاهرة.. صدر له كتاب اعترافات جامدة احد الكتب الاكثر مبيعا في خلال عام ٢٠١٤.. وله مئات المقالات المنشورة في مواقع الصحف المصرية والعربية منذ عام ٢٠١٠.. اهتم في مجمل كتاباته بمعالجة سلبيات المجتمع المصري بشكل ساخر ولاقى قبولا واسعا.







9 789777 790116